

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research



جامعة البليدة 2
University of Blida 2

كلية: الآداب واللغات
قسم: اللغة العربية وآدابها

الميدان: الآداب واللغات
الشعبة: ليسانس
التخصص: لسانيات عامة

مطبوعة بيداغوجية في مقياس اللسانيات العربية

الطور: ليسانس
السنة: الثالثة
السداسي: الخامس

من اعداد الدكتورة: فريدة رمضاني
الرتبة: أستاذ محاضر أ

السنة الجامعية: 2024-2025

2ص.....	الفهرس
4ص.....	مقدمة
5ص.....	المحاضرة الأولى:
	مدخل نظري: تحديد المصطلحات اللغوية التراثية: نحو، علم العربية، علوم العربية، الإعراب، فقه اللغة.
13 ص.....	المحاضرة الثانية:
	اللسانيات العربية 1 : النشأة
20ص.....	المحاضرة الثالثة:
	اللسانيات العربية 2: التطور
25ص.....	المحاضرة الرابعة:
	الفكر اللساني في التراث
31 ص.....	المحاضرة الخامسة:
	المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة
42ص.....	المحاضرة السادسة:
	اللسانيات العربية و الغربية 2: التأثير
48ص.....	المحاضرة السابعة:
	اللسانيات العربية و الغربية 2: التأثير
55ص.....	المحاضرة الثامنة:
	اللسانيات التمهيدية و اللسانيات المتخصصة
61ص.....	المحاضرة التاسعة:
	البحوث اللسانية العربية الحديثة
68ص.....	المحاضرة العاشرة:
	اللسانيات الصوتية
74ص.....	المحاضرة الحادي عشر:
	اللسانيات التركيبية

المحاضرة الثانية عشر:	ص 80
اللسانيات الدلالية	
المحاضرة الثالثة عشر:	ص 86
اللسانيات العربية والمشكلات اللغوية	
المحاضرة الرابعة عشر:	ص 94
آفاق البحث اللساني العربي	
قائمة المصادر والمراجع:	ص 100



مقدمة:

تعد اللسانيات العربية من أكثر المقاييس طرافة و جدة في حقل الدراسات اللغوية؛ سنقدم فيها محاضرات مطابقة للبرنامج الدراسي و هي متكونة من أربعة عشر محاضرة؛ إنها موجهة لطلبة السنة الثالثة (ل م د)، تخصص لسانيات عامة، محتوى هذه الدروس يدور حول مواضيع اللسانيات القديمة و الحديثة العربية و الغربية، وبهذا هي متنوعة مما يسمح للطلاب باكتساب معارف واسعة في مجال اللغة.

و حرصنا حرصا كبيرا على أن تكون هذه المحاضرات موثقة بجملته من المصادر و المراجع؛ إنها ذات قيمة علمية و هي متنوعة بين القديم و الحديث نذكر منها:

- ✓ مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج،
- ✓ عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية،
- ✓ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية،
- ✓ مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية،
- ✓ حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالياته،
- ✓ تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها،
- ✓ أكرم ضياء العمري، التراث و المعاصرة، مطابع الموصلة الحديثة،
- ✓ إدريس بن خويا، علم الدلالة في التراث العربي و الدرس اللساني الحديث: دراسة في فكر ابن قيم الجوزية،
- ✓ أحمد مختار عمر، البحث الصوتي عند العرب،

حاولنا من خلال هذه المحاضرات توجيه الطلبة إلى أهم النقاط التي ينبغي عليهم التعرف عليها في مقياس اللسانيات العربية، وفقا للبرنامج المسطر من قبل وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، كما حاولنا تذليل الصعوبات التي تواجه بعضهم خاصة و أن هذا المقياس سيصبح تخصصا في مرحلة الماجستير، و تعزيزا لمعارفهم السابقة وقفنا على أبرز المعلومات التي هم بحاجة إليها.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات العربية، التراث اللغوي العربي، اللسانيات التمهيدية، اللسانيات الغربية، الفكري اللغوي العربي، المصطلح اللساني.

المحاضرة الأولى

مدخل نظري: تحديد المصطلحات اللغوية التراثية:

نحو، علم العربية، علوم العربية، الإعراب، فقه اللغة.

مقدمة:

عرفت الدراسات التراثية العربية العديد من المصطلحات منذ نشأتها و هذا في جميع الحقول اللغوية وخاصة في أول نشأتها فكانت بذلك ذخرا للعرب و العربية و هذا ما أشارت إليه العديد من الدراسات المتخصصة و لولا ما قدمه العلماء الأوائل للعربية لما كان لها أن تستقيم في علومها الصرفية و النحوية وغيرها؛ إلا أن البحث لا يزال قائما إلى اليوم لتطوير الدراسات اللغوية و إكمال ما يمكن إكماله للنهوض باللغة العربية الفصحى.

إن المتمعن في الدراسة العربية يدرك جيدا أن اللغويين العرب لم يكن همهم هو دراسة اللغة بقدر ما كانت همهم ترمي إلى فهم حقائق و دقائق القرآن الكريم، و الهدف هو استنباط الأحكام الفقهية والامتنثال لأوامر الله تعالى، و يشهد على هذه الحقيقة كل من عاد إلى عوامل نشأة الدرس اللغوي العربي، حيث كان ظهور العلوم العربية مرتبطا ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم و لم تنفك عنها إلى يومنا هذا، و هي دلالة على فضل الله تعالى على هذه اللغة الشريفة التي اختارها لأن تكون هي اللغة التي كتب بها كتابه الكريم.

الواضح من العلوم العربية التي اشتغل عليها العلماء قديما أنها تتمتع بالدقة و الرصانة التي قل لها مثيل في اللغات الأخرى و من الجدير بنا ذكرها ههنا في هذا المقام و هي:

1- تحديد المصطلحات اللغوية التراثية:

1-1- نحو:

لا يستقيم الحديث عن النحو العربي إلا بالعودة إلى التعريفات اللغوية و التعريفات الاصطلاحية في الوقت ذاته و الهدف هو توضيح مفهوم النحو:

أ- لغة:

النحو لغة هو القصد و الطريق و لذلك قيل: "سر على هذا النحو"¹ أي على هذا الطريق وقد ورد مثل هذا التعريف للنحو في معجم لسان العرب لابن منظور حيث قال أن النحو: "إعراب الكلام العربي، و النحو: القصد و الطريق، و يكون ظرفا و يكون اسما، نحاه ينحوه و ينحاه نحوا و نتحاه،

¹ - عبد البديع النيرباني، الخلاصة في النحو، مكتبة نور الهداية، دمشق، ط1، 1431هـ-2010م، ص5.

ونحو العربية منه،¹ و غير بعيد عن هذا القول يرى الأزهري أن النحو: "القصـد نحو الشيء، نحوت نحو فلان إذا قصدت قصده، قال: و بلغنا أن أبا الأسود وضع وجوه العربية و قال للناس: انحوا نحوه فسمي نحوا، و نحو الشيء هي ههته المقصودة، لذلك فالنحو في كلام العرب هو القصـد."²

ب-اصطلاحاً:

حقيقة مصطلح النحو لا يمكن تجاوزها عند العرب و المعلوم أن علماء النحو لم يستقروا على رأي واحد لتعريفه: "فلكل منهم تعريف خاص، و اختلاف هذه التعاريف يعود إلى الاختلاف في تحديد دائرة القواعد النحوية، و هذا بدوره راجع إلى صلة هذا العلم بالفروع الثقافية العربية الأخرى فالنحو فرع من علوم العربية و قد كانت هذه العلوم متداخلة فيما بينها و تشمل اللغة و الصرف والاشتقاق و النحو و المعاني و البيان و الخط و العروض و إنشاء الخطب و الرسائل و التاريخ وغيرها..."³

و لعل ما لا ينكره أغلب المتخصصين في هذا المجال هو أن: "أفضل تعريف للنحو هو التعريف القائل: "إن النحو هو محاكاة العرب و اتباع نهجهم في ما قالوه من الكلام الصحيح المضبوط بالحركات" أو هو "قانون تأليف الكلام."⁴

1-2- علم العربيّة:

أ-لغة:

العلم في اللغة المراد به إدراك الشيء و الفقه فيه، يقول ابن فارس: "العين و اللام و الميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، ومن ذلك العلامة، و هي معروفة، يقال علمت على الشيء علامة... والعلمُ الراية، و الجمع أعلام، و العلم نقيض الجهل، و كل شيء يكون معلماً: خالف المجهل، و جمع الغلم أعلام أيضاً قالت الخنساء: و إن صخرًا لتأتم الهداة به... كأنه علم في رأسه نار،"⁵ أما العربية فهي كلمة مشتقة من الفعل أعرب و المراد بها الوضوح- كما سيأتي ذكره في موضع الإعراب- و قد ورد هذا اللفظ في مختار الصحاح: "عرب العرب جيل من الناس و النسبة إليهم عربي و هم أهل الأمصار و الأعراب منهم سكان البادية خاصة و النسبة

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج15، مادة ن ح ا، ص310.

² الأزهري، التهذيب، تح: عبد الكريم العرابوي، الدار المصرية، القاهرة، د.ت، ج5، ص 252.

³ أميل بديع يعقوب، موسوعة النحو و الصرف و الإعراب، دار العلم للملايين، ط1، 2005، ص 673.

⁴ -المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ -ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، دمشق، 1399هـ-1979م، ج4، ص 109.

إليهم أعرابي و ليس الأعراب جمعا لعرب بل هو اسم جنس، و العرب العاربة الخالص منهم أكد من لفظه كليل لائل و ربما قالوا العرب العاربة و تعرب تشبه بالعرب و العرب المستعربة بكسر الراء الذين ليسوا بخلص و كذا المتعربة بكسر الراء و تشديدها و العربية هي هذه اللغة،¹ وقد أشار القرآن الكريم إلى العربية و اللسان العربي في مواضع كثيرة و كلها تشيد بشرف هذا اللسان و دقة نظمه وقدرته على البيان.

ب- اصطلاحا:

لا ريب أن علم العربية يؤصل لكل العلوم على اختلافها باللسان العربي المبين الذي قيل عنه: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، و لو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير،"² و ما قيل هذا إلا لثراء العربية و غناها الذي لا تعرف حدوده و امتداداته عبر العصور و الأجيال فما بالكم بعلم العربية و أهم علم لفت انتباه العرب هو علم الأصوات ثم علم النحو لتأتي العلوم الأخرى على التوالي حسب الأهمية و القدر و ما ينبغي التنويه إليه هو أن علم العربية لم يكن ليظهر إلى الوجود لولا الهبة التي قام بها علماء اللغة لجمع العربية من أفواه فصحاء العرب يقول التهالوني: "اعلم أن هذه العلوم لم تؤخذ عن العرب قاطبة، بل عن الفصحاء البلغاء منهم، و هم الذين لم يخالطوا غيرهم: كهذيل و كنانة، و بعض تميم، و قيس عيلان، و من يضاهيهم من عرب الحجاز، و أوساط نجد، فأما الذين صاقبوا العجم في الأطراف لم تعتبر لغاتهم، و أحوالها في أصول هذه العلوم، و هؤلاء كحمير و همذان و خولان و الأزد، لمقاربتهم الحبشة، و الزنج، و طي و غسان لمخالطتهم الروم بالشام، أو عبد القيس لمجاورتهم أهل الجزيرة و فارس، ثم أتى ذوو العقول السليمة و الأذهان المستقيمة، ورتبوا أصولها و هذبوا فصولها، حتى على غاية لا يمكن المزيد عليها."³

و في سياق الحديث عن علم العربية لابد أن نلفت نظر طلبتنا الأعزاء إلى سعة العربية: "لأن لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، و أكثرها ألفاظا، و لا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، و لكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه و العلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلا جمع السنن، فلم يذهب منها عليه شيء."⁴

¹ -الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 2017، ص177.

² -ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، مطبعة المدني، القاهرة، د. ت، ج1، ص25.

³ -التهالوني، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: لطفي عبد البديع، المؤسسة العامة، القاهرة، 1382هـ-1963، ج1، ص19.

⁴ -الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى، القاهرة، 1308هـ-1940م، ص42.

1-3- علوم العربية:

أ- لغة:

العلوم من العلم و قد تم ذكره أعلاه بالتفصيل و ما يمكن إضافته في هذا الخصوص هو أن العلوم تلخص لنا المنهج و الطريق الذي ينبغي أن يسلكه من يقصد العلم و المعرفة التي هي ضد الجهل كما أشار إلى ذلك ابن فارس في معجم مقاييس اللغة.

ب- اصطلاحاً:

لعل الحديث عن علوم العربية يسوقنا إلى محاولة التعرف على اللغة العربية في ذاتها فهي لغة شريفة، حيرت العلماء من كثرة دقتها و سحر ألفاظها حتى أن أحدهم قال: "أن اللسان العربي اشتقاقي البنيان، ترجع كافة كلماته إلى صور صوتية-مرئية مقتبسة مباشرة عن الطبيعة: عن الطبيعة الخارجية تقليداً للأصوات الحاصلة فيها، مثال ذلك: "تر"، "فق"، "خر"، "خش"، "زم"، أو عن الطبيعة الإنسانية بيانا لمشاعرها، مثال ذلك: "أن"، "أه"...¹، و قد صدق الوصف لأن العربية زاخرة بالصيغ و الاشتقاقات و من خلال هذا القول نستشف أن علوم العربية امتداد لخصائص العربية ذاتها فهي متنوعة في نظامها و دقيقة في ضوابطها و أحكامها.

و على ضوء ما قيل و يقال عن العربية نستعرض بعض ما جاء في بسط بعض علومها وأول ما نباشر به كلامنا هو علم الأصوات في اللغة العربية الذي أخذ نصيباً وافراً من الدراسة عند العرب فهذا ابن جني قد استهوته الأصوات اللغوية فراح يستشعر المعاني و الكلمات و يتلقف من خلالها اللطائف و الأسرار يقول: "فأما مقابل الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، و ذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها و يحتذون عليها، و ذلك أكثر مما ن قدره، و أضعاف ما نستشعره من ذلك قولهم: خضم، و قضم، فالخضم لكس الرطب، كالبطيخ و القثاء؛ و ما كان نحوهما من مأكول الرطب و القضم لتصلب اليايس نحو: قضمت الدابة شعيرها..."²

لقد صرف العلماء العرب -على اختلاف مشاربهم- جل اهتمامهم إلى علوم العربية و هذا ما يصرح به هذا القول: "و إنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره، لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، و كثرة وجوهه، و جماع معانيه

¹ - زكي الأرسوزي، المؤلفات الكاملة، مطابع الإدارة السياسية للجيش و القوات المسلحة، دمشق، مج3، ط1، 1972، ص71.

² - ابن جني، الخصائص، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1371هـ-1952م، ج2، ص157-158.

وتفوقها زمن علمه انتفت عنه الشُّبُه التي دخلت على من جهل لسانها"¹ و هي دعوة صريحة إلى استخلاص الأحكام و الضوابط الفقهية من اللغة التي كتب بها القرآن الكريم الذي نشأت من خلاله علوم العربية.

1-4- الإعراب:

أ- لغة:

الإعراب في اللغة هو: "الإبانة نقول: أعربت عن سروري إذا أظهرته و أبنته"² و هو المعنى الذي ذهب إليه العديد من العلماء في النحو يقول ابن هشام: "ثم قلت: باب-الإعراب أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الاسم المتمكن و الفعل المضارع و أقول: للإعراب معنيان: لغوي، وصناعي فمعناه اللغوي: الإبانة يقال: "أعرب الرجل عما في نفسه" إذا أبان عنه، و في الحديث: "البكر تستأمر، و إذنهما صمانها، و الأيم تعرب عن نفسها" أي: تبين رضاها بصريح النطق."³

ب- اصطلاحاً:

غير بعيد عن المعنى اللغوي لمصطلح الإعراب نجد أن المقصود به أيضا في التعريف الإصطلاحي هو الظهور و لذلك قال ابن هشام هو أثر ظاهر أو مقدر: "نقول: عاد المسافر واستقبلت المسافر و سلمت على المسافر فيتغير الأثر الظاهر في آخر كلمة المسافر من ضمة إلى فتحة إلى كسرة."⁴

و من يتتبع الأمثلة السابقة يتأكد له جليا أن الإعراب ما هو إلا أثر ظاهر من خلال العلامة الإعرابية و هذا ما وضحناه من قبل حيث جاء الفاعل مرفوعا في جملة: عاد المسافر ففي هذه

¹ - الشافعي، الرسالة، ص50.

² - محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية كتاب في قواعد النحو و الصرف مفصلة موثقة بالشواهد و الأمثلة، دار المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1418هـ-1997م، ص17.

³ - ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م، ص22.

⁴ - محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية كتاب في قواعد النحو و الصرف مفصلة موثقة بالشواهد و الأمثلة، ص17.

الجملة كانت كلمة المسافر مرفوعة على أنها فاعال للفعل عاد: " و هذا الفعل هو الذي عمل في فاعله رفعا و جاءت الضمة على آخر هذا الفاعل رمزا لقيامه بالفعل أي لفاعليته.¹

إن التغيرات الظاهرة على الجمل التي سقناها لا تتوقف على عامل الرفع بل النصب و الجر أيضا ففي الجملة الثانية أصبحت كل و المسافر: " مفعولا به لأن العامل الذي هو الفعل استقبل قد استوفى فاعله التاء و احتاج إلى إظهار الشيء الذي وقع عليه فعل الفاعل أي المفعول به، فعمل فيه نصبا، و جاءت الفتحة في آخر هذا المفعول به رمزا لوقوع فعل الفاعل عليه أي لكونه مفعول به، و أما في الجملة الثالثة فقد طرأ قبل كلمة المسافر حرف هو على أوصل معنى الفعل سلم الذي استوفى فاعله التاء إلى المسافر فعمل فيه جرا، و جاءت الكسرة تحت آخر المسافر رمزا للجر.²

و يزيد ابن هشام على ما ذكره المتخصصون في علم النحو هذه الأمثلة الدقيقة و يقول عن الإعراب ومعناه الاصطلاحي مثال: " الآثار الظاهرة الضمة و الفتحة و الكسرة في قولك: "جاء زيد" و "رأيت زيدا" و "مررت بزيد" ألا ترى أنها ظاهرة في آخر "زيد" جلبتها العوامل الداخلة عليه-و هي: جاء، و رأى، و الباء- و مثال الآثار المقدرة ما تعتقده منويا في آخر نحو: "الفتى" من قولك: "جاء الفتى" و "رأيت الفتى" و "مررت بالفتى"؛ فإنك تقدر في آخره في المثال الأول ضمة، و في الثاني فتحة، و في الثالث كسرة، و تلك الحركات المقدرة إعراب، كما أن الحركات الظاهرة في آخر "زيد" إعراب.³

و لا يخفى على طلبتنا الكرام أن الإعراب أنواع و كل نوع له مزاياه و خصائصه التي يتفرد بها عن غيره و ما يكون لنا أن نفصل في هذا المقام مختلف ما جاء في هذا الباب نظرا لتعقيد المسألة لكن هذا لا يمنع من ذكرها حتى لا تغيب عن أذهانكم و هي: "رفع و نصب في اسم و فعل ك"زيد" يقوم" و "إن زيدا لن يقوم" و جر في اسم ك"بزيد" و جزم في فعل ك"لم يقوم".⁴

¹ - محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية كتاب في قواعد النحو و الصرف مفصلة موثقة بالشواهد و الأمثلة المرجع السابق، ص 17.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث العربي، ص 22.

⁴ - المرجع نفسه، ص 23.

1-5- فقه اللغة:

أ- لغة:

الفقه مأخوذ من لفظ فقه و في هذا يقول ابن فارس: "الفاء و القاف و الهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء و العلم به، تقول فقهت الحديث أفقهه و كل علم بشيء فهو فقه، يقولون: لا يفقهه و لا ينفقه ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقليل لكل عالم بالحلال و الحرام: فقيه، و أفقتهك الشيء، إذا بينته لك،"¹ و هو المعنى ذاته الذي ورد في المعجمات العربية الأخرى مثل معجم لسان العرب و معجم قاموس المحيط، و أساس البلاغة و غيرها، و قد أنفردنا بهذا التعريف لابن فارس لأنه أبلغ من تحدث عن كلام العرب و سننهم في مؤلفه المشهور: "الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها" فكان الأقدر-في اعتقادنا- على تعريف لفظ الفقه.

ب- اصطلاحاً:

لقد كشفت العديد من المصادر العلمية أن مصطلح فقه اللغة هو محور مركزي في اللغة العربية و علومها بل هو سر من أسرارها التي ما فتأت تضاء في الكتب الغربية هنا و هناك، والفضل في ذبوع هذا المصطلح في الشرق و الغرب هي المعجمات العربية للغة و مصادرها و قد ارتبط هذا المفهوم بابن فارس في القرن الرابع للهجرة الذي جاء ذكره في كتابه الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها و هو المعين الأصل الذي نهل منه العرب هذا المصطلح.

و نظرة خاطفة على ما ورد فيه من مفاهيم تمت بصلة مباشرة إلى المصطلح الذي نحن بإزاء ذكره هو ما جاء في هذا النص: "و فقه اللغة لا معنى الذي استعمله فيه العرب قديماً و حديثاً دراسة محدودة المكان و الزمان، و ذلك لأن علماء العربية، كانوا يركزون كل اهتمامهم على العربية الفصحى، وهي لغة مكان معين- هو المنطقة التي كانت تسكنها قريش من جزيرة العرب- سادت في زمان معين- هو على وجه التقريب القرن السابق للهجرة و القرن الأول منها و قد كان اللغويون العرب لا يرتضون النصوص التي تنقل عن بعض القبائل العربية في عصر الجاهلية و صدر الإسلام و النصوص التي تنقل عن العرب في العصر العباسي مثلاً، أساساً لوضع قواعد اللغة الفصحى، و هكذا كان مقياس الصواب اللغوي عند علماء اللغة العرب محدوداً في نطاق هذا المكان و هذا الزمان."²

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 4، ص 443.

² - عبد الرحمن أيوب، محاضرات في اللغة، مطبعة المعارف، بغداد، 1966، ص 5.

و الخلاصة هي أن فقه اللغة كعلم يطلق في الاصطلاح: "على العلم الذي يعنى بدراسة قضايا اللغة؛ من حيث أصواتها، و مفرداتها، و تراكيبها، و في خصائصها الصوتية، و الصرفية، والنحوية، و الدلالية، وما يطرأ عليها من تغييرات، و ما ينشأ من لهجات، و ما يثار حول العربية من قضايا، و ما تواجهه من مشكلات إلى غير ذلك".¹



¹-محمد بن ابراهيم الحمد، فقه اللغة: مفهومه-موضوعه-قضاياها، دار خزيمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ-2005م، ص 19.

المحاضرة الثانية

اللسانيات العربية 1: النشأة

تمهيد:

عرفت اللسانيات العربية منذ نشأتها تطورا ملحوظا خاصة بعد الدراسات الحديثة و المعاصرة حيث شهدت تسارعا في ظهور المفاهيم و دقة في معرفة كنه اللغة و أسرارها و الفضل في ذلك يعود إلى الجهود الحثيثة التي تقوم بها بعض الأعمال الفردية التي يقوم بها أصحابها و بعض الجهود الفكرية التي ترعاها المجامع اللغوية العربية التي لا ينكر فضلها أبدا و إن كان ضئيلا بالمقارنة مع ما هو منتظر منها، و حتى نتتبع مسار اللسانيات العربية منذ بداياتها الأولى إلى اليوم سنحاول إلقاء الضوء على أهم الفترات التي مرت بها معرجين على لمحات من تطورها في العصور السابقة إلى اليوم.

1-نشأة اللسانيات العربية:

لا ينكر عارف باللسانيات الغربية فضل اللسانيات العربية التي جاءت لا على النقيض منها ومن مثيلاتها بل على العكس من ذلك تماما حيث نشأت في أوائل صورتها في كنف العلم و موضوعيته التي بدت عند الغرب في أوائل القرن العشرين شيئا جديدا و غير مألوف؛ فاللسانيات العربية على النقيض من ذلك كانت في القرون الأولى للهجرة ذات صبغة علمية وهي الطابع الغالب على الدراسات العربية التي انتشرت آنئذ بشكل لافت من أجل الحفاظ على اللغة العربية لغة القرآن الكريم لكن للأسف: "لم يكتب للدراسات اللغوية العربية أن تنمو فيما بعد القرن الخامس الهجري فلقد كان كل جهد يبذل بعد ذلك القرن إما في سبيل الشرح وإما في سبيل التعليق و إما في سبيل التحقيق والتصويب، أما العمل المبتكر و الذهن المبدع فقد قضى عليهما ظهور العنصر التركي على مسرح السياسة و استبداده بأمر الخلافة و ضيق أفق الفكر و قلة الحماسة للعلم و تلك ظاهرة ظلت تتضح في العالم العربي والإسلامي يوما بعد آخر و تستشري باطراد حتى انتهت آخر الأمر بما سموه إقفال باب الاجتهاد".¹

وعلى الرغم من الظروف الحالكة التي مرت بها اللسانيات العربية و التي ظلت سائدة طيلة القرون التي خلت إلا أن اللغة العربية بقت محافظة على قوامها و نظارتها نظرا للدعوات الصادقة الداعية لإحياء اللغة و إعادة بعث بريقها الذي اختفى بفعل التقييد و التقليد الذي طغى إذ لم تعد:

¹ - تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1994، ص 11.

البصرة و الكوفة و بغداد و مكة و المدينة و القاهرة و دمشق والقيروان من عواصم الابتكار في الخلافة تتبض بالحياة كما كانت في أيامها الخوالي حين كان العلماء في كل فرع من فروع الدراسة سدنة على الفكر الخلاق و حين كان العالم المتحضر في ذلك الوقت يرى في هذه العواصم قبلة للفكر الخلاق و كان النحاة و اللغويون من بين هؤلاء العلماء أرفعهم صوتا و أجراًهم عقلا و أصلهم فكرا و أثبتهم على الطريق قدما.¹

إذاً لم يكن لنا اليوم أن نتحدث عن اللسانيات العربية لولا تلك الجهود التي شد بها أصحابها على أيدي اللسانيين الجادين للحفاظ على ما تبقى من العطاءات العلمية الرصينة والحقيقة هي أن: الظروف التي دعت إلى نشأة الدراسات اللغوية العربية كانت العامل الرئيسي في تحديد مسار هذه الدراسات و فلسفة منهجها فقد نشأت دراسة اللغة العربية الفصحى علاجاً لظاهرة كان يخشى منها على اللغة و على القرآن و هي التي سموها "ذبوع اللحن".²

إن الواقع الذي تعيشه اللسانيات العربية اليوم ليس وليد اللحظة بل هو نتيجة حتمية للظروف التي عاشتها البلاد العربية أثناء و بعد الاستعمار حيث عانت من التقييد و التهجير، و هذا الفعل استمر دهرًا من الزمن لكن يبقى القرن التاسع عشر: "منعطفا حاسما في تكوين الفكر العربي الحديث؛ إذ وجد هذا الأخير نفسه أمام ضرورة القيام بمشاريع إصلاحية كبرى على المستويات جميعا، و ضرورة إعادة النظر في أوضاع هذا الفكر لمواكبة التطور الحاصل في الغرب، الذي صدم العرب للمرة الأولى مع الحادث الاستعماري".³

إن الوعي بأهمية العودة الجادة إلى المنابع الأصلية للسانيات العربية يجعلنا نضع أصابعنا على الجرح و من ثمة البحث عن العلاجات الفعالة للمشكلات الراهنة التي جعلت من الدرس اللساني العربي الحديث عالة على الأفكار الغربية التي طغت بكل أشكالها على المشهد العربي، ويحسن بنا ههنا البحث عن بدائل لهذه الصورة المفزعة في ظل الغياب التام لنماذج لسانية عربية حصيفة يمكن من خلالها سد هذا الفراغ الرهيب.

إن البحث عن سبل الارتقاء باللسانيات العربية لا يتطلب منا إلا إيجاد الطريق القويم الذي علينا أن نسلكه لأنفسنا أمام الاتجاهات المتعددة من التيارات فأياها أنسب و أيها أجدى؛ لقد كان:

¹ - تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص 11.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص 14.

الفكر العربي الحديث يتشكل بقطبين متنافرين: سلفي، يحاول أن يعيد إنتاج الموروث الحضاري العربي الإسلامي، بصيغته القديمة نفسها، أو بصيغة معدلة تعديلا جزئيا، و حدثي يحاول أن يتبنى المسار الحضاري الغربي بكل تفصيلاته، و يعلن القطيعة مع القطب الأول... و لما كانت اللسانيات العربية محاولة لنقل النظرية اللسانية الغربية، فقد واجهت الصراع نفسه مع مرجعيات مختلفة، منها ما يتبع البحث الفيلولوجي الاستشراقي، ومنها ما يردد إلى التصورات القديمة التي شكلتها النظرية العربية القديمة.¹

إن الإحساس بأن اللسانيات العربية في مفترق الطرق يجعل المرء يفكر في السبل التي تلاقي بين التيارات المتنافرة و هي وجهة رأي سديدة إذا ما وجدت المنصتين إلى الحقيقة: " و في فوضى هذه التقاطعات، حاول البحث اللساني العربي أن يبني لنفسه هيكلًا مستقلًا يصف، من خلاله، اللغة العربية معتمدا على كل هذه الأصول النظرية، مع مراعاة ما يتطلبه الواقع اللغوي اليوم من نظر خاص.²

كل الدعوات التي كانت تدعو إلى التفريق بين الجهود العربية في مجال اللسانيات اجتمعت في اتجاه واحد يدعى بالاتجاه التوفيقي و هو اتجاه رسم لنفسه طريقا واضحا نحو بناء لسانيات عربية متينة قائمة على المقاربة بين الأصالة و المعاصرة في ظل التطورات السريعة للسانيات الغربية نحو الأفضل في مجال اللغة و الحوسبية و هذا ما تقطن إليه اللسانيون المحدثون من الأمة العربية التي تحاول انتاج لسانيات عربية خالصة، و في انتظار نضج الدراسات العربية و إعادة هيكلة قواعدها المنهجية سنحاول إيجاد مفهوم دقيق لمصطلح اللسانيات العربية.

2-تعريف اللسانيات العربية:

قبل الخوض في مصطلح اللسانيات العربية نعود بطلبتنا الأعزاء قليلا إلى الوراء لنقف عند مقابلات مفهوم اللسانيات ألا و هي linguistique بالفرنسية و linguistics بالإنجليزية و هنا ننوه بالترجمة الشائعة لهذا المصطلح منها علم اللغة المستعمل أكثر في بلاد المشرق مثل مصر ومصطلح اللسانيات و اللسنيات و الألسنية في بلاد المغرب العربي لكن كلها تعني شيئا واحدا هو دراسة اللغة من حيث نظامها الداخلي مثلما قال دي سوسير مؤسس اللسانيات العامة.

لقد واجهت البيئة العربية تحديات كثيرة لترجمة و فهم التصورات الجديدة التي أتى بها دي سوسير و هنا: " وجدت اللسانيات العربية، نفسها أمام ضرورة إقامة وضع جديد في البحث العربي،

¹ - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص 15.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وحيث إن قيام مثل هذا الوضع كان مرتبطا بضرورة نقل اللسانيات الغربية، من سياقها المعرفي إلى سياق ثقافة أخرى، هي الثقافة العربية، فإنه كان على اللسانيين العرب أن يعيدوا النظر في الموروث اللغوي، و قد كان ذلك أدق مهمة واجهت مشرورعهم.¹

إن أخطر شيء لابد علينا أن نحافظ عليه هي اللغة التي تعد: "رابطة تاريخية تربط بين الأجيال المختلفة من الشعب الواحد رابطا يجعل وحدة هذه الأجيال حقيقة ملموسة على رغم اختلاف العصور، ذلك بأن اللغة وعاء التجارب الشعبية و العادات و التقاليد و العقائد التي تتوارثها الأجيال واحدا بعد الآخر، فصفة الاستمرار لكل هذا لا تأتي إلا عن طريق اللغة، تورث معها، و تبقى ببقاء ما يدل عليها من المفردات و التراكيب."²

و من هذا المنطلق توجب علينا دراسة هذه اللغة التي تعد الوعاء لثقافتنا و هويتنا وشخصيتنا المستقلة وليس من السهل التهوين من شأن اللغة التي تعد عماد الدراسة اللسانية؛ إن اللغة هي الأساس المتين لولوج المستعمرين إلى البلاد العربية: "إذا كان للغة هذا الخطر على نفس المواطنين و الأجانب فحري بدراستها أن تكون محل عناية و موضع اهتمام و لقد حاربنا المستعمرون قديما بأن غرسوا في نفوسنا احتقار اللغة العربية؛ فأفقدونا ثقتنا بأنفسنا وبتاريخنا و مستقبلنا، و أصبح الكلام بلغتنا موضع تندر، و تكلمت الأسرات العريقة إحدى اللغات الأجنبية... و ولغ الناس في سمعة مدرس اللغة العربية كما يعتدون على سمعة كل طائفة قليلة الدخل."³

من الواجب في هذا المقام أن نشيد بالجهود الجبارة التي قدمها اللسانيون العرب في سبيل العلو بمنزلة اللسانيات العربية و هي: "محاولة لنقل النظرية اللسانية الغربية الحديثة، على اللسانيين العرب أن يفردوا جزءا بارزا من نشاطهم لتقديم هذه النظرية و عرضها، أي تقديم ذلك الخط النظري، الذي ارتبطت به اللسانيات العربية ارتباطا وجوديا للقارئ العربي"⁴ و هي مسوغات مقبولة إذا كان هناك تمثّل بين اللغات البشرية لكن في الواقع اللغات تختلف من حيث الخصائص و عليه لابد لنا من معرفة لغتنا العربية التي تتفرد عن غيرها بالعديد من الميزات في نظامها اللساني.

¹ - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص 22.

² - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة النجلو المصرية، القاهرة، 1990، ص 1.

³ - المرجع نفسه، ص 3.

⁴ - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص 22.

3- منزلة اللسانيات العربية:

صارت اللسانيات بجميع فروعها هي العلم المهيمن في السنوات الخمس الأخيرة، وأصبحت القضايا التي يثيرها المتخصصون فيها على قدر من الأهمية و الوزن، و لهذا كانت الحركة حثيثة لنقل المفاهيم و الاطلاع على آخر المستجدات في هذا العلم و لهذا يقول مصطفى غلفان: "بدأ الانتعاش يدب في شرايين الحياة الفكرية، و تطلبت الحركة الفكرية الجديدة بمصر و غيرها من الأقطار العربية من اللغة العربية جهودا جبارة لمواكبة مظاهر التحولات التي عرفتها مناحي الحياة العربية، مما نشأ معه حركة لغوية جديدة تمحورت أساسا حول الترجمة إلى العربية و إيجاد المصطلح العربي الملائم".¹

سرعان ما صارت اللسانيات العربية تحتل مكانة و منزلة في جميع الأقطار العربية نتيجة تزايد عملية الترجمة للنهوض بهذا المجال الجديد في الساحة العربية، و على الرغم من صدق النوايا في نقل المفاهيم الغربية إلى الثقافة العربية فإن الأمر خلف أزمة اصطلاحية خانقة نتيجة التشتت في ترجمة المصطلحات فعوض الإفادة مما جادت به قرائح اللسانيين الغربيين أصبحنا نعاني من الفوضى المصطلحية التي لا يخفى عنكم أنها عقدت الوضع الذي عانت منه البلدان العربية لفترة طويلة نسبيا.

إنه و على الرغم من وجهة الآراء التي جاءت في قيمة اللسانيات العربية على الصعيد العربي فإن المسافة و الهوة بينها و بين اللسانيات الغربية تبقى كبيرة و هذا لعدة اعتبارات؛ "لقد كان اللسانيون العرب يتوجسون مما قد يُجابهن به من ردود أفعال مناهضة لنشاطهم، سواء من المشتغلين باللغة أو من الجهات الجامعية و المؤسسات العلمية التي ترعى النشاط اللغوي، فقد استشعروا صعوبة تقديم المناهج اللسانية الحديثة للقارئ العربي، و لم تكن الصعوبة في عملية عرض هذه المناهج بقدر ما ارتبطت بإقناع الآخر بجذوى هذه العملية".²

لقد انتعشت السوق اللسانية بالعديد من المحاولات لإرساء لسانيات عربية خالصة، وأدرك العلماء أن لا مجال للخلاص من تأثير اللسانيات الغربية عليها و لذلك تطلع بعضهم إلى إحياء التراث العربي و إضفاء القداسة على نظرياته و من هنا بدأت الدراسات اللغوية تنتعش شيئا فشيئا إلى أن صارت ذات طابع عربي و لا أصدق مما تقدم به العالم الجليل عبد الرحمان الحاج صالح

¹ - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة الغربية الحديثة حفريات النشأة و التكوين، شركة النشر و التوزيع

المدارس، الدار البيضاء، ط1، 1427هـ-2006م، ص7

² - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص 16.

في هذا المجال، و الحق أن هذا الرجل و أمثاله قد برعوا في إخراج اللسانيات العربية من البئر الذي كانت فيه و أعطوا للسانيين الجدد قوة و عزما على قراءة ما جاء في التراث العربي و إعادة بعثه من جديد،" و يكاد يجزم الناظر بأن العرب بين قديمهم وحديثهم قد أتوا كليا على لغتهم جمعا وتمحيصا، ثم دراسة و تنظيمًا، حتى غدت علومهم في اللغة مجرى الاكتمال،¹ فكيف لا يكون لنا -بعد هذا- في دراساتنا العربية ما نشد به عضدنا و نروي به عطشنا و نحن نرى الدقة و غزارة الطرح العلمي ماثلة أمامنا في فكرنا التراثي الأصيل.

المشكلة التي يبدو لنا من وجهة نظرنا أنها لا تزال تؤرق الباحثين في مجال اللسانيات العربية هي مسألة التوفيق بين ما ورد في التراث و العربي و ما جاء به الغرب في هذا الحقل الجديد، أما المواكبة فهي مسألة أخرى ينبغي مراعاتها و الخوض في تفاصيلها لأن المسؤولية التي تقع على عاتقنا اليوم لم تعد بسيطة مثل الأمس و نحن بحاجة الآن إلى الخلاص من كل ما يشئت الشمل العربي في قضايا اللغة التي باتت جوهرية و لا مفر من إيجاد الحلول السريعة لها قبل فوات الأوان. لقد أصبح من الضروري التعرف على النقائص الموجودة في الدراسات اللغوية العربية وتخليصها من الأخطاء الجسيمة التي وقع فيها بعض من حسبوا أنفسهم مجددين و ما هم بمجددين إذ أقحموا النظريات الغربية إقحاما و طبقوها على اللغة العربية دون إمعان النظر وهي الفريدة في خصائصها، و هذا ما لا ينكره عاقل، إن "اللغة العربية هي محور التراث العربي الزاهر، هي لغة عبقرية لا تدانيها لغة في مدونتها و اشتقاقها، و هذه العبقرية في المرونة و الاشتقاق اللذين ينبعان من ذات اللغة جعلها تتسع لجميع المصطلحات الحضارية القديمة بما فيها من علوم و فنون و آداب و أتاحت لها القدرة على وضع المصطلحات الحديثة لجميع فروع المعرفة."²

أفحسب الذين يدعون أن اللغة العربية قاصرة على استيعاب العلوم بما في علم اللسان بأن التراث العربي عقيم و لا ينتج و لا يخرج من لدنه الأفكار، أعجزت لغة بحجم العربية أن تحتوي هذه المفاهيم الجديدة و هم-أي الغرب- من قالوا عن جذورها أنها شتى" و ما يمكن أن يطرأ عليها من تغييرات تعز على الحصر، تجعل من العربية إحدى اللغات العظمى في العالم أجمع و من أجل هذا فهي جديرة بأن تعلم."³

¹ - عبد السلام المسدي، اللسانيات و أسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص12-13.

² - كرم السيد غنيم، اللغة العربية و الصحة العلمية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1989، ص42.

³ - عبد العزيز العسلي، أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423-2002م، ص18.

إن منزلة اللسانيات العربية من منزلة اللغة العربية و ما يغيض في الثانية يؤثر في الأولى،
فحينما انبجعت اللسانيات الجديدة سال فيض من المصطلحات و اعتقد بعض المتشدين أن اللغة
العربية لا يمكنها مجابهة ذلك السيل و قالوا ما قالوا مع أنها: " غنية تستطيع أن تسير التطور
الحضاري و الفكري، بدليل أن العربية استطاعت في العهود الإسلامية المختلفة، أن تستوعب الفكر
الدخيل و العلم الدخيل و أن تعبر عنها بلغة صافية،"¹ و لا أصدق من هذا الدليل، لقد عاشت اللغة
العربية قديما بين اللغات الأعجمية و ما طالها شيء، أفيأتي قلة ممن يدعون العلم و يقولون أنها
عقيمة، هذا محال.



¹ - أنيس فريجة، نظريات في اللغة (الألسنية3)، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط2، 1981، ص 68.

المحاضرة الثالثة

اللسانيات العربية 2 : التطور

تمهيد:

لا يستقيم الحديث عن نشأة اللسانيات العربية دون الالتفات إلى التطور الذي أحرزته في الساحة الدولية و الوطنية، ولما كان شأن الدراسات العلمية التجدد فإن المقولات العربية على اختلافها عليها أن تلبس ثوبا جديدا يتماشى مع التغيرات المتسارعة في المناهج اللغوية والطرق المبتكرة حديثا في التحليل اللساني، و هذا يقتضي إظهار كل النماذج المستجدة ودراستها عن قرب من أجل تبيان التصورات الغربية المتبناة و تسويغ العمل عليها كمشاريع جديدة في ظل اللسانيات العربية.

1-الاتجاهات الحديثة في اللسانيات العربية:

عرف البحث اللساني العربي تطورا مذهلا في السنوات الأخيرة و الفضل في ذلك يعود إلى الدراسات الحديثة التي تأسست على أنقاض النظريات التي تزوج بين ما وصل إليه الغرب و ما هو متاح في الحضارة العربية القديمة، حيث تم التوليف بين هاتين و تلك والخروج بنظريات جديدة متأصلة و دقيقة و قد برزت جراء ذلك اتجاهات حديثة في اللسانيات العربية.

اليوم و بعد مرور مائة سنة على ظهور كتابات دي سوسير استطاع العلم اللساني الانتقال من اتجاه إلى آخر و بالموازاة مع ما ظهر عند الغرب من اتجاهات فقد بدأ يلوح في أفق العرب أفكار ونهضة عميقة في مجال دراسة اللغة، و مظاهر ذلك جلية من خلال الانتشار والتغلغل الكبير لبعض الاتجاهات.

تدرجت اللسانيات العربية في سلم العلم الوصفي أولا ثم انتقلت إلى الاتجاه التفسيري وهذا تأثرا بالمناهج الغربية بطريقة أو بأخرى وهذا ما ذهب إليه بعض اللسانيين أمثال مصطفى غلفان الذي يقول: "أما في الثقافة اللغوية العربية الحديثة؛ فإن اللسانيات ليست استمرارا للبحث اللغوي العربي القديم، بل وردت إلينا نتيجة الانفتاح المعرفي الذي عرفه العالم العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر، لذا اتخذ البحث في العلاقة بين الفكر اللغوي العربي القديم و نظيره اللساني منحى آخر غير ما كان منتظرا منه، إذ تم في إطار ما أصبح شائعا تحت عبارة قراءة التراث اللغوي، أو "إعادة التشكيل"؛ أي تأويل الموروث اللغوي العربي و فهمه فهما جديدا في ضوء ما تقترحه اللسانيات من

نظريات، و بالتالي باتت قضايا اللسانيات جزءا من معضلة فكرية أكبر هي إشكالية الأصالة والمعاصرة.¹

2- اللسانيات العربية بين الأصالة و المعاصرة:

لا مشاحة في العلم و عليه لابد من تقدير الجهود المبذولة في إطار التأصيل للسانيات العربية من التراث العربي و في الوقت نفسه من الضروري الإشادة بالأعمال المعاصرة التي انفتحت على الغرب، و بين هذا و ذاك علينا حسم اتجاه و طريق الدراسة اللسانية في ضوء هذين التيارين الكبيرين:

أ- اللسانيات التراثية:

على امتداد القرون السابقة لم تكن الدراسة اللسانية العربية ترتكز على منهج بعينه، لكنها كانت تتسم بالأصالة و قراءة ابستمولوجية دقيقة تكشف لنا عمق ما توصل إليه الخليل وأمثاله من عباقرة العربية، و لا يخفى عنكم أن النظريات اللغوية بما فيها النحوية كانت تتطلب أكثر من منهج وهذا ما ذهب إليه التأصيليون فمنهم من يتبنى المنهج الوصفي و منهم من يتمسك بالمنهج المعياري و هناك من يأخذ بالمنهج التقابلي الذي تتسع إجراءاته عند الدارسين فهو: " يتسع عند بعضهم للمقابلة بين جوانب من نظرية النحو العربي، و جوانب من مناهج النظر اللغوي الحديث كما في بعض أعمال الدكتور نهاد الموسى، و قد يضيق عند بعض أصحاب الاتجاه التأصيلي فيصير مقابلة بين جوانب نظرية النحو العربي، و جوانب من منهج لغوي حديث كالمناهج التحليلية التوليدي كما في أعمال الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح، و عبد القادر المهيري، و بعض أعمال الدكتور ميشال زكريا.² لا تتصورون قيمة ما توصل إليه من عادوا إلى التراث فقد نهلوا العجائب من الفكر والفضل في ذلك راجع إلى سعة نظر الأوائل من الدارسين، و يمكننا التحقق من ذلك بالاطلاع على كتابات عبد الرحمان الحاج صالح هذا اللغوي المحنك الذي بحث في أصول النظرية العربية و قد حاول من خلال ما توصل إليه من أفكار إيجاد نظرية تأصيلية سماها النظرية الخليلية الجديدة و هي ما سنتحدث عنه لاحقا- و المهم في الأمر هو ضرورة إيجاد نظرية جديدة: " دقيقة في أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصل فيما تركه لنا أمثال الخليل و سيبويه و من تلاهما و يتضح

¹ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، دار ورد الرندية للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2013، ص 16.

² - حسن خميس الملح، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء و المحدثين، دار الشروق، الأردن، ط1، 2001، ص 241-242.

ذلك بإعادة قراءة التراث ليس على ضوء النظريات الحديثة فقط، و إنما بدراسة إبيستيمولوجية (معرفية) دقيقة لمفاهيم النحاة، وتصوراتهم، و طرق تحليلهم، و بدون إسقاط أي تصور آخر لتصور النحاة العرب المتأخرين أو تصور الغربيين لها.¹

ما توصل إليه عبد الرحمان الحاج صالح هو نموذج بسيط لما يمكن أن نعرفه من التراث العربي الثري بمفاهيمه و معطياته و دقة مناهجه و أدواته، و لا نستغرب أبداً إذا ما خرج أحدهم بنظرية جديدة من خلال معارفهم و علومهم، إن حصيلة ما ينهله العالم اللساني من التراث العربي لا يقدر بثمن و هذا ما يقرون به هم أنفسهم كما فعل تمام حسان حين قال: "أن ألقى ضوءاً جديداً كاشفاً على التراث اللغوي العربي كله منبعثاً من المنهج الوصفي في دراسة اللغة، و هذا التطبيق الجديد للنظرية الوصفية في هذا الكتاب يعتبر (حتى مع التحلي بما ينبغي لي من التواضع) أجراً محاولة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد سيوييه وعبد القاهر".²

ب- اللسانيات العربية المعاصرة:

ما تصبو إليه الدراسات اللسانية العربية هي السير قُدماً نحو التطور و هذا التطور في نظر بعضهم مرتبط بالغرب و بهذا المنطق تكون اللسانيات العربية قد ارتبطت: "كما ظننا، ارتباطاً وجودياً بالنظرية اللسانية الغربية، فكان عليها، من هذا المنطلق، أن تؤدي جملة من الوظائف التي تضمن هذا الارتباط: أن تثبت شرعية وجودها من خلال نقد النظرية النحوية العربية، من حيث هي النظام القائم لوصف اللغة العربية، أولاً، و أن تقدم تلك النظرية الغربية التي بنت عليها وجودها، من خلال الدعوة إلى (الوصفية)، التي هي نتاج محض لهذه النظرية الغربية، ثانياً ثم محاولة (إعادة وصف اللغة العربية)، بوصفها نتيجة حتمية و منطقية لما اقترحه اللسانيون العرب من مقدمات نظرية، و قد ارتبطت هذه النتيجة عند اللسانيين العرب بحاجة اللغة العربية.³ إلى التطور و الارتقاء بعلومها.

إن ما يثير التساؤل هي تلك المفارقات العجيبة عند اللسانيين العرب، و الحقيقة: "لقد وقع اللسانيون العرب في مفارقة كبرى، حين تبنا اللسانيات الغربية، بتفكيرها البنوي الوصفي، و حاولوا، في الوقت نفسه، إعادة وصف اللغة العربية القديمة؛ فالبنوية الوصفية، كما هو معروف، تعنى بدراسة اللغة و وصفها على ما هي عليه؛ أي على وضعها الحالي، وموضوع اللسانيات اليوم، هو اللغة الحية أو الواقع اللغوي كما هو، وقد كان اللسانيون العرب على وعي تام بهذه الحقيقة، فقد

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم، الجزائر، ص 39.

² - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 13.

³ - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص 99.

أنجزوا رسائلهم الجامعية على هذا الأساس، فدرسوا اللهجات العربية إلا أننا نجدهم، حين يؤلفون في اللسانيات، يكتبون مصنفات في نقد النحو، و في إعادة وصف اللغة العربية القديمة و لا يشعرون بأنهم معنيون بدراسة اللغة العربية المعاصرة أو بحل مشكلاتها.¹

صفوة القول، اللسانيات العربية المعاصرة تحمل مسؤولية عظيمة فهي تتعامل مع مناهج غربية و لغات أجنبية تختلف عن اللغة العربية في الشكل و البناء، و من هنا علينا الانتباه إلى تلكم الخصوصيات و إسناد الأمر إلى أهله من المتخصصين في اللغة مع الإبقاء على النظرة التراثية وهذا بالضبط ما نادى به الدراسات التوفيقية لتطوير اللسانيات الغربية.

3- تطوير اللسانيات العربية:

بعد أن تحولت الدراسات اللسانية في بعض الاتجاهات اللسانية العربية إلى مجرد التقليد والنقل الأعمى للمفاهيم أصبح لزاماً على اللسانيات العربية دخول معترك السباق نحو التقدم إذ من غير المعقول بقاء البحوث على ما هي عليه دون تجديد أو تحديث للنظريات اللغوية العربية و من ثم أدرك اللسانيون أنهم أمام العديد من العقبات خاصة أن بعد تجاهل الآخر للمرحلة التي مر بها البحث اللساني الإنساني: "لأن الغرب تجاهل المرحلة العربية وهو يؤرخ للفكر اللساني في الحضارة الإنسانية دون أن يعير أدنى اهتمام لقيمة الفكر اللغوي العربي".²

من خلال قراءتنا المتعددة في مجال اللسانيات العربية تسنى لنا معرفة أن الانتقاء لنطاق الدراسة اللسانية ناجع خاصة بعد تفرع اللسانيات الغربية إلى فروع كثيرة و التمعن فيما تطرحه القراءات التراثية يكشف عن: "فهم عام لمضامين النظرية اللسانية و إدراك غير واضح لها بسبب تداولهم إياها تداولاً حدسياً و تلقائياً متناسين في حالات عديدة مصادرها الفكرية والأسس النظرية والمنهجية التي تقوم عليها، إن ما تعتبره القراءة اللسانية مفاهيم بسيطة مثل مفهوم العامل، و مفهوم الحالة، و مفهوم البنية العميقة و البنية السطحية، و مفهوم التحويل، و غيرها من مفاهيم التوليدية

¹ - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة درس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، المرجع السابق، ص 99.

² - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، جامعة الحسن الثاني، كلية الاداب و العلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية، الدار البيضاء، 1998، ص 27.

هي في العمق غير ذلك، إن المفاهيم اللسانية الحديثة ترتبط في جوهرها بمبادئ منهجية على جانب كبير من التعقيد النظري باعتبارها جزءا من شبكة من الإشكالات المتداخلة.¹

و على هذا الأساس ينبغي إعطاء مجال اللسانيات في الوطن العربي المزيد من الدعم لتطوير النظريات و تطبيقها في المجالات المختلفة تماما مثلما يفعل الغرب الذي تفوق في مجال اللسانيات الحاسوبية بفضل تنظيراته اللغوية، و المشاريع البحثية التي تقام هنا و هناك في الولايات المتحدة وأوروبا و استحداث الجامعات المتعددة الاختصاصات هي شاهد على ما نقول و بالتالي يجب تطوير طرق تكوين اللسانيين و إحكام القبضة على الترف الفكري الذي لا طائل منه؛ و الهدف هو الخروج من دائرة التقليد و تحقيق سياسات لسانية من خلال اللجوء إلى المختبرات البحثية و العمل الجماعي.

هذه الخطوات التي سقناها ليست على سبيل التمثيل بل على سبيل الاتباع الحرفي لها لأن الغرب لم يتطورا في مجال الدراسة اللسانية من لا شيء بل قدموا كل ما بوسعهم للوصول إلى ما وصلوا إليه اليوم، و لولا الممارسات الحصيفة في مجال البحث العلمي الموضوعي لما استطاعوا نقش أسماء لسانيهم في التاريخ الحديث و المعاصر.

¹ - حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة نحو مقاربة إبستمولوجية، مجلة اللسانيات و اللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات، و اللغة العربية، جامعة باجي مختار، الجزائر، ع2، 2006، ص28.

المحاضرة الرابعة

الفكر اللساني في التراث

تمهيد:

شغل التفكير اللساني العربي العلماء و المفكرين في جميع المجالات، و استقطب العديد من الدارسين في علوم اللسان على الخصوص؛ لأن الثراء كان الميزة الوحيدة التي تميز بها التراث اللغوي و العلمي لدى العرب و يقينا منا بعظيم النفع الذي يرجى من التنقيب و التفتيش في الماضي السحيق في البحوث العربية فإن الأمل يبقى في استحداث مكتبات رقمية تضم كل الكتب التراثية وتحقيقها من أجل الانتفاع بها في إقامة علوم لغوية و غير لغوية متينة قائمة على المصادر الحقيقية للعلم الذي تركه لنا علماؤنا الأوائل.

1-التراث و الفكر اللساني العربي:

إن القضايا التي نناقشها في كل مرة يثار فيها الحديث عن الفكر اللساني العربي هي في الحقيقة قضايا مصيرية تخصنا نحن دون غيرنا و من ثمة كان واجبا علينا إبراز قيمتها وقيمة اللغة العربية من منظور اللسانيات العربية التي أضحت مرآة للنظريات الغربية يقول مصطفى غلفان:" وكأن الفكر اللغوي القديم لا قيمة له و لا يمكن تقويمه أو إدراكه، أو فهمه إلا في إطار الجديد وبالمقياس على هذا الجديد الذي هو اللسانيات، أكثر من هذا و ذلك نجد أن منهجية القراءة المتبعة لدى كثير من الدارسين العرب تغير رتبة العلاقة بين الفكر اللغوي الغربي القديم و بين اللسانيات.¹

وحتى لا نكون عرضة للنقد من قبل الآخر؛ علينا أن ننظر إلى أنفسنا و هويتنا و تراثنا الذي لا ينقضي و لا تقنى عجائبه، و لا يغيب عنكم أن التراث اللغوي هو أقوى ما وصلنا عن علمائنا الأوائل و عليه كان لزاما علينا تحقيقه و وضع آلياته و قواعده على المحك، بل علينا أن نوازن بين ما جاءت به العلوم الجديدة و ما هو ماثوث في الثقافة العربية من أنساق فكرية قامت في الأساس على أوصاف معينة في البيئة العربية التي هي محصلة لمجموعة من المكونات الفكرية والاجتماعية و المعرفية و الثقافية و السياسية و تشمل في حقيقة الأمر المصنفات النحوية و ما تحتوي عليه من

¹-مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2010، ص105.

قواعد تركيبية و بنى و خصائص صوتي، بالإضافة إلى أصول النحو، و الموروث البلاغي و جملة المعاجم.¹

1-1- مفهوم التراث:

يشكل التراث مفهومًا أساسيًا في الدراسات اللغوية و لا يمكن إغفاله فهو ينتقل جيلًا بعد جيل و هو استمرار و امتداد تاريخي في الثقافة العربية؛ به يتم مواصلة البحث العلمي وعليه فهو مسؤولية كبيرة علينا المحافظة عليها بشكل أساسي و حتى نتبين مفهوم التراث أكثر سنبحث في معناه اللغوي و الاصطلاحي:

1-1-1- التراث لغة:

جاءت كلمة تراث في العديد من المعاجم اللغوية منها معجم لسان العرب لابن منظور الذي يقول: "وردت الوارث صفة من صفات الله عز و جل، و هو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم، و الله عز و جل، يرث الأرض و من عليها، و هو خير الوارثين أي يبقى بعد فناء الكل، و يفنى من سواه، فيرجع ما كان ملك العباد إليه...، و رثة ماله ومجده، و ورثه عنه و رثا و رثة ووراثه و إراته و رت فلان أباه يرثه وراثته و ميراثا... الورث و الورث و الإرث و الوراثة و الإرث و التراث واحد...الميراث أصله موراث، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، و التراث و الميراث في المال، و الإرث في الحسب، و التراث: ما يخلفه الرجل لورثته، و التاء فيه بدل من الواو."²

إن دلالة لفظة تراث لم تخرج عن نطاق دلالة الإرث المادي و هو المعنى ذاته الذي ألفيناه في معجم القاموس المحيط، الذي أتى على ذكر كلمة التراث يقول ورث أباه و منه بكسر الراء، يرثه كيده وزنا و وراثته و إراثا و رثة بكسر الكل و أورثه أبوه و ورثه جعله من ورثته و الوراثة الباقي بعد فناء الخلق، و في الدعاء أمتعني بسمعي و بصري و اجعله الوارث مني أي أبقه معي حتى أموت، وتوريث النار تحريكها لتشتغل و الورث الطري من الأشياء.³

¹-خالد خليل هويدي، التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث الأصول و الاتجاهات، مكتبة عدنان للطباعة و النشر و التوزيع، بغداد، ط1، 2012، ص283.

²- ابن منظور، لسان العرب، مادة ورث، ج2، دار صادر، بيروت، ص199-200.

³- الفيروزبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، ص177.

و بمقابل هذا المفهوم سنرى بأن لفظ التراث في اللغة لا يختلف عن المفهوم الاصطلاحي مع فارق بسيط حيث يزيد الثاني على الأول في كون التراث مادي و معنوي أيضا و هذا ما ذهب إليه العديد من العلماء و المتخصصون في الفكر و اللغة، و لا نستبعد أن يكون المصطلح قد اكتسب هذا المفهوم جراء تشعب التخصصات كالتاريخ و اللغة و الفلسفة و علم الاجتماع و غيرها من العلوم.

1-1-2- التراث اصطلاحا:

تختلف المفاهيم الاصطلاحية من مجال إلى آخر، لكنها قد تتواءم لعدة أسباب منها التقارب في مجال البحث و عوامل أخرى، لكن لا يختلف اثنان في أن التراث: "هو الهوية الثقافية للأمة، والتي من دونها تضمحل و تتفكك داخليا، و قد تندمج ثقافيا في أحد التيارات الحضارية و الثقافية العالمية القوية.. و بالنسبة للمسلمين فإنهم يتعرضون لهذا التفكك ويندفعون بقوة مطردة نحو التيارات العالمية المتباينة، و يمكن أن نتلمس أسباب ذلك أو بعضها في طبيعة التراث من ناحية، و في طريقة الإفادة منه ثانيا، و في القيم العامة التي تحكم إلى حد-ما و لو على صعيد القيادات الفكرية- عملية التفاعل معه ثالثا.¹

إن ما يختلف في مصطلح التراث هو طبيعته التي قد تكون لغوية أو فكرية أو اجتماعية..، والقضية اللغوية هي ما يهمنا في هذا المقام؛ لأن اللغة: "هي وعاء الفكر والحضارة، فبدونها لا يمكن التعبير عن المعاني، و تعتبر إحدى المقومات الرئيسة التي تكون شخصية الأمة، وتعطيها ملامحها و هويتها، و ترسي دعائم التفاهم بين أبنائها و تحقق وحدتها؛ و كلما ارتقت لغة الأمة و نمت واتسعت مفرداتها و كثر الاشتقاق و التوليد فيها كلما دلت على حيوية الأمة و تحضرها، و من هنا حظيت لغة الأمم الراقية باهتمام بالغ، فلها مجامعها العريقة، و معاجمها المتطورة النامية، و دورياتها المستمرة التي توضح ما استجد فيها و ما طرأ عليها؛ فثمة ألفاظ تموت بعد قرن أو أكثر من حياة اللغة، و ثمة ألفاظ تولد، وعلى المدى البعيد تتسع الهوية بين اللغة و أصولها القديمة.²

حقيقة معاني التراث لا تنضب، و الشاهد في الأمر هو أن الفكر اللساني في التراث العربي له فضائل كثيرة ينبغي التذكير بها في كل مناسبة و مكان، و عدم العودة إلى هذا التراث يجعل أحدنا

¹ - أكرم ضياء العمري، التراث و المعاصرة، مطابع الموصلة الحديثة، قطر، 1405هـ-1985م، ص 35.

² - المرجع نفسه، ص 72.

منقطعا عن لغته:" إن ترك اللغة العربية تتطور مثل بقية اللغات العالمية بانسياب، و دون الاهتمام بالمحافظة على لغة القرون الهجرية الأولى يولد أخطارا كبيرة، إن التطور الانسيابي للغة الإنجليزية جعل الإنجليز لا يقرؤون "شكسبير" دون قاموس لغوي؛...إن لغتنا الأدبية لا تزال هي الفصحى، والتراث اللغوي القديم يرفدها بالمفردات والأساليب ويوسع من دائرتها، لذلك فإن دراسة التراث القديم يؤثر في الارتقاء بلغتنا الأدبية والحفاظ على أصالتها؛ كما يؤدي إلى استمرار إفادتنا من النتاج الفكري المكتوب بالعربية الفصحى في حياتنا المعاصرة.¹

2-التراث اللساني عند العرب:

قراءة عميقة في التراث اللساني تنبأ عن الخطر الداهم باللغة في حال عدم الحفاظ عليها والارتقاء بها في مجال الفكر و الثقافة خاصة في ظل الدعوات التي ترمي اليوم إلى هدم كيائها من خلال محاولة تمكين اللهجات في التربية و التعليم في بعض البلدان العربية:" لذلك فإن دراسة التراث القديم يؤثر في الارتقاء بلغتنا الأدبية و الحفاظ على أصالتها؛ كما يؤدي إلى استمرار إفادتنا من النتاج الفكري المكتوب بالعربية الفصحى في حياتنا المعاصرة و إهمال تراثنا الأدبي القديم يقطع صلتنا بالقرآن الكريم و الحديث الشريف، و يمكن للهجات العامية من النمو على حساب الفصحى؛ مما يخلف التمزق في الأمة؛ لأن اللغة مكانة خطيرة في الوحدة الثقافية و الهوية الذاتية.²

3-الفكر اللساني العربي في التراث:

سار المنحى اللساني العربي على خطى الغرب دهرا من الزمن، و آن له الآن أن يعود إلى معينه و فكره اللساني العتيق، لقد استلهمنا نماذج و مناويل عربية من الفكر العربي الأصيل:" لكننا ما نزال في دنيا الفكر متخلفين إلى الدرجة الدنيا التي ليس لنا فيها فكر عربي معاصر مع أن تراثنا- كما قدمت- يمدنا بالخامة الولود التي يمكن أن نتخذ منها محورا لموقف عربي أصيل إزاء القضايا الإنسانية الكبرى المطروحة على الألسنة و الأقلام، و مع ذلك ترانا أحد رجلين إما ناقل لفكر غربي و إما ناشر لفكر عربي قديم، فلا النقل في الحالة الأولى و لا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيا معاصرا، لأننا في الحالة الأولى سنفقد عنصر "العربي" و في الحالة الثانية سنفقد

¹ - أكرم ضياء العمري، التراث و المعاصرة، ص 75.

² -المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

عنصر "المعاصرة" و المطلوب هو أن " نستوحي لنخلق الجديد سواء عبرنا المكان لننقل عن الغرب أو عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين".¹

لطالما كانت الحضارة العربية مهد الحضارات الأخرى، و لا غرابة في ذلك؛ و ما نصبو إليه اليوم هو استعادة سبل المجد و السيادة بين الأمم، و لن يكون لنا هذا إلا إذا كان لنا فكريا لسانيا واعيا بالميراث الذي خلفه العرب لا لنقطف ثمار ما وصلوا إليه بل لإكمال المسيرة التي قطعها الأوائل طيلة الخمسة عشر قرنا الماضية: " فمن هذه المنطلقات و على تلك المستندات يمكننا أن نقرر-مصادرة و إجمالا- أن التفكير العربي قد أفرز نظرية شمولية في الظاهرة اللغوية، و لعل ذلك ما كان إلا محصولا طبيعيا لعوامل تاريخية تنصب جميعا في ميزة الحضارة العربية التي اتسمت قبل كل شيء بالمقوم اللفظي حتى كاد تاريخ العربي يتطابق و تاريخ سلطان اللفظ في أمته، و لم تكن معجزة الرسول إليهم إلا من جنس حضارتهم في خصوصيتها النوعية، و هذا ما استقر لدى المفكرين منهم منذ مطلع نهضتهم،"² لقد أفرزت الحضارة العربية إنتاجا غزيرا و وافرا من النظريات اللسانية التي صدح صوتها عاليا في سماء العلم اللساني العربي.

4-مجالات الفكر اللساني في التراث:

لم يقتصر الفكر اللساني عند العرب على مجال بعينه بل تنوع تنوعا لا مثيل له، و ما جمع من البوادي العربية على ألسنة الأعراب الفصحاء إلا شاهد على ذلك، فهي بين مؤلفات في النحو وكتب في العروض و البلاغة و الشعر و أخرى في الصوت و اللفظ، و لكي نكون منهجيين سنحاول التركيز على أبرز المجالات اللسانية التي جاءت في التراث العربي.

النظر فيما كتب بأقلام الخليل و سيبويه و الجاحظ و الجرجاني و غيرهم يطول الحديث عنه في هذا المقام، و النظريات التي جاء بها العرب تعد الدعائم الأساسية في التراث العربي و تحضرنا في هذا المقام نظرية النظم التي أرساها الجرجاني و الواقع أن: " النظم كنظرية لم ير النور و لم يعرف الطريق الصحيح إلا في ارتباطه بالإعجاز القرآن الكريم، و أن جل المؤلفات التي عُنونت ب" نظم القرآن" لم ترق إلى الوصف العلمي الدقيق الذي يبرز ماهية النظم و آلياته، و يكشف عن

¹ - زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، ط2، 1973، ص254.

² - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1986، ص

مراحلته و خطواته، فكانت أحكاما ذوقية و آراء سطحية غلبت الجانب الديني على الجانب العقلي، ولتصل إلى أن القرآن الكريم معجز بنظمه، إلا عبد القاهر الذي عنون كتابه "دلائل الإعجاز" انطلق من فكرة أن القرآن معجز وغدا باحثا عن صورته، و كاشفا عن طريقه، ليصل بطريقة عقلية إلى النظم.¹

لا شك أن بذور النظريات العربية قد أنبتت فكرا عربيا أصيلا، و قد يوافقني القارئ الرأي في أن الفكر اللساني العربي مركزي حيث استند البحث التراثي على: "مقومات اللغة بالنسبة إلى الإنسان من حيث يُفترض اختبارا أن لو كان الإنسان و لم يكن معه اللساني، وهي فرضية في البحث والنظر تتبني على الاستدلال بالسلب-أو على حد عبارة المنطقة- بقياس الخلف غير أن هذا المنحى في الكشف و التحليل لم ينقض مبدأ النظر في قيمة البعد اللغوي من حيث هو موجود فعلا مع الإنسان، أي إن القضية تستحيل عندئذ، أولا إلى استكشاف مدى الارتباط المتأصل بين القيم التي يمكن للإنسان أن يدركها و كيانه اللغوية."²

ليس الجرجاني هو الوحيد الذي رفع نجم العرب في مجال اللغة فهذا السكاكي هو الآخر علا بالفكر اللساني العربي من خلال ما جاء به في كتابه مفتاح العلوم الذي كان يطمح فيه إلى النفاذ إلى جميع العلوم اللسانية و الغيبية، فإن كان من اللسانيين القدماء من يستحق اسم مدرسة فهو السكاكي، نظرا لكثرة أتباعه و إقبال المنظرين على ما تناوله كتابه بالشرح والتطبيق.³

و ما أدهشنا في الفكر اللساني التراثي هو ذلك الثراء الذي تركز في الدراسات اللسانية على أبعاد الظاهرة اللغوية و لا جدال في قيمتها و أهميتها في تحليل أنحاء اللغة في جميع مستوياتها وفروعها و الأمثلة التي سقناها ما هي إلا جزء بسيط مما وجدناه فيها، إنها آراء فكرية مطروحة في الساحة العربية التي تعج في ظاهرها بالدراسات الغربية و لكن هي في حقيقتها دراسات تراثية مقارنة للسانيات الغربية.

¹ - أرفيس بلخير، نظرية النظم بين الأصل النظري و البعد الفكري، البدر الساطع للطباعة و النشر، الجزائر، د.ت، ص 23.

² - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 53.

³ - محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي و في الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001، ص 44.

المحاضرة الخامسة

المفاهيم الأساسية للنظرية الخيلية الحديثة

تمهيد:

لطالما كانت النظريات اللسانية العربية واقفة بشموخ أمام المفاهيم و التصورات الغربية التي هيمنت على العلوم اللسانية لزمن طويل، حيث ضمنها أصحابها مجموعة من المفاهيم الأساسية في قضايا التحليل اللساني الذي طبق على اللغة العربية التي احتلت مكانة متميزة في الدراسات التراثية العربية، و بناء على تلكم الاعتبارات التي وضعها العرب القدامى، أخذ الباحث العلامة عبد الرحمان الحاج صالح زمام الأمور و حاول إخراج اللسانيات العربية الحديثة من ذلك الركود الذي ساد مدة معتبرة من الزمن، و لأن إنتاج نظرية ليس سهلا فقد قام هذا العالم بإثارة العديد من المسائل والقضايا النظرية والتطبيقية التي كانت ماثلة بوضوح في عمله الذي عُرف بالدقة و الضبط، و من أجل ذلك ستكون هذه الصفحات مخصصة لإبراز المفاهيم الأساسية في النظرية الخيلية الجديدة.

1-تعريف النظرية الخيلية:

ارتقت النظرية الخيلية الجديدة لعبد الرحمان الحاج صالح بالبحث العلمي إلى مصاف الدراسات العالمية بعد أن ابتكر صاحبها نظرية من طراز النظريات الأمريكية و الأوروبية لاسيما و أنها جمعت بين التراث و الحداثة فكان هذا الرجل من طينة الكبار و فيه قال مازن الوعر: " الباحث الحاج صالح يعد ظاهرة فريدة من نوعها في الوطن العربي، لأنه تتلمذ حتى مرحلة الدكتوراه في جامعة الأزهر، فهضم و فهم النظرية اللغوية التراثية القديمة، و بعدها ذهب إلى جامعة باريس فتتلمذ على أساتذتنا في موضوع اللسانيات الحديثة، فهضمها وفهمها على نحو دقيق جدا، و بذلك استطاع أن يعالج بعض القضايا اللغوية العربية المعاصرة ذات الإشكاليات المعرفية."¹

سعت النظرية الخيلية إلى زرع الأفكار الأصيلة في جيل اللسانيين العرب خاصة بعد إبرازها لجملة من الآليات التحليلية المتميزة؛ فهي تركز على تبين الخصائص التي تنفرد بها اللغة العربية التي لاقت عناية كبيرة من قبل العلماء الأوئل أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي هذا الرجل العبقرى الذي طبق الأسس الرياضية في دراسة اللغة، و لم يكن من السهل أبدا التغافل عن هذا الجانب الواعد في الدراسة اللسانية العربية.

¹ - حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات- حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009، ص 115.

ما يميز النظرية الخيلية الجديدة هي تلك المفاهيم التي لم تكن غريبة عن اللغة العربية بل هي خاصة بها حتى أن عبد الرحمان الحاج صالح سمي نظريته بأحد عباقرتها إنه الخليل بن أحمد الفراهيدي حيث انتهج في تأسيسه لها المفاهيم النحوية من خلال ما توافق مع ما توصلت إليه اللسانيات الغربية مثل التحليل البنوي الأوروبي و التوليدي الأمريكي لكن: "الفوارق الأساسية التي تمتاز بها كل نزعة منها بما فيها النظرية العربية القديمة، فالبنوية تكتفي بالكشف عن عناصر اللغة و تحديد هويتها بصفات العربية القديمة، فالبنوية تكتفي بالكشف عن عناصر اللغة و تحديد هويتها بصفات المميزة لها عن جميع العناصر الأخرى، فالإطار المنطقي الأساسي هو وهنا التحديد بالجنس و الفصل و ما ينجر عن ذلك من اشتغال شيء على شيء، و هذا لا يكتفي به النحاة العرب لأنهم يحملون الشيء على الشيء بجامع بينهما فيستنبطون البنية التي يشترك فيها عدد من الوحدات (كبناء أو مثال الكلمة) ومثل البنية التركيبية: عامل + معمول أول ± معمول ثاني ± مخصص، فهي ناتجة عن حمل الأجناس المختلفة بعضها على بعض و كلها على هذه البنية العامة."¹

لقد حلت النظرية الخيلية العديد من المشكلات التي كانت عالقة في أذهان الباحثين و غيرت الكثير من القناعات التي كانت راسخة في اللسانيات العربية، و باتت أفكار عبد الرحمان الحاج صالح قبلة المتعاطشين لمعرفة التراث العربي في ثوبه الجديد، و على الرغم مما يمكن أن يقال عن هذه النظرية و ما يعتريها من نقائص فإن المفاهيم التي أتى بها هذا الرجل الفذ تبقى هي الأساس الأول للسانيات العربية.

2- مفاهيم النظرية الخيلية الحديثة:

إن تفحص المفاهيم التي جاء بها عبد الرحمان الحاج صالح يجعلنا نقر بأنها مفاهيم قديمة في ثوب جديد، تحديدا تلك المفاهيم و المصطلحات النحوية التي لاقت رواجا بين الدارسين المحدثين و سنجملها فيما يلي:

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح، النظرية الخيلية الحديثة- مفاهيمها الأساسية- ضمن كراسات المركز، مركز البحث العلمي و التقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، ع4، 2007، ص15.

2-1- مفهوم الاستقامة:

أفضى بنا النظر في المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الجديدة إلى مفهوم الاستقامة الذي أولاه عبد الرحمان الحاج صالح عناية شديدة نظرا لإلحاح سبويه على ذكره في كتابه الشهير "الكتاب" وقد ورد في باب الاستقامة من الكلام و الإحالة يقول فيه: "فمنه مستقيم حسن ومحال، و مستقيم كذب و مستقيم قبيح، و ما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس و سأتيك غدا، و أما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، و سأتيك أمس، و أما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، و شربت ماء البحر، ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت و كي زيد يأتيتك، وأشباه هذا، و أما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس.¹

حيث يبدو واضحاً أن باب الاستقامة في الكلام ليس واحداً؛ فهناك المستقيم و المحال ومنه الحسن و القبيح و الكذب و هو تأكيد آخر أن اللفظ حسب النظرية العربية متعدد وخاضع للوضع والاستعمال ففي مفهوم الاستقامة مثلاً نحتكم إلى الاستعمال العربي الذي لا تستقيم فيه جملة: "قد زيداً رأيت" و: "كي زيد يأتيتك" و أمثالها كثير و المدهش في الكلام العربي أنه يحترم السلامة من حيث اللفظ و المعنى لذلك هناك المحال و المحال الكذب فالأول مثاله: "أتيتك غدا" و "سأتيك أمس" و الثاني: "سوف أشرب ماء البحر أمس" ومن هذا القبيل: "جاء التمييز بين اللفظ و المعنى، و أعني بذلك أن اللفظ إذا خُدد أو فُسر باللجوء إلى اعتبارات تخص المعنى فالتحليل هو تحليل معنوي (sémantique) لا غير، أما إذا كان التحديد و التفسير على اللفظ نفسه دون أي اعتبارات للمعنى فهو تحليل لفظي معنوي (sémiologico-grammatical) و التخليط بين هذين الاعتبارين يعتبر خطأ و تقصيراً.²

إذا يتنزل مفهوم الاستقامة في إطار السلامة اللغوية المتأصلة في الثقافة العربية و ما يمنعنا من الاختلاف مع رأي سيبويه أو الخليل في قضية استقامة الجملة لدى الناطقين باللسان العربي الفصيح هي إملاءات المنطق يقول عبد الرحمان الحاج صالح في النص الذي سقناه و الموجود في كتاب سيبويه: "و من هذا التحليل للسلامة اللفظية و المعنوية نعلم أن الاستعمال ينضبط كله بأنواع من الضوابط تنتمي إلى ميادين مختلفة، ففيما يخص الاستقامة اللفظية فهذا يمس النحو و اللغة

¹ - سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ط3، 1988، ص25-26.

² - عبد الرحمان الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة-مفاهيمها الأساسية- ضمن كراسات المركز، ص 31.

وبالتالي ملكة المتكلم اللغوية، و فيما يخص سلامة المعنى في ذاته (دون اللفظ) فهو المنطق الطبيعي و هو ما يعقله مع غيره.¹

لئن حاول عبد الرحمان الحاج صالح وضع تحديدات للمفاهيم النحوية في إطارها القويم فإن مقولة الاستقامة جاءت في موقعها الصحيح من النظرية الخليلية الجديدة، و هذا ما أشار إليه المحدثون من اللسانيين، و الحقيقة أن نفص الغبار عن المفاهيم التراثية و غربلتها كانت عن وعي تام من هذا العالم الجزائري الذي رفع اسمه عاليا في ميدان اللغة العربية و شهادة حق أن الرجل: "لفت أنظار الباحثين منذ بداية السبعينيات من القرن العشرين، باهتمامه بالكتابة اللسانية ذات المنحى التجريدي و التوليقي في ضوء ما اكتشفه من رؤى ثاقبة للنحاة العرب في المسألة اللغوية بعد قراءة مستفيضة في نصوص سيبويه و الجرجاني والرضي والاسترابادي و ابن جني على وجه الخصوص، محاولا صياغة هذه الرؤى في نظرية نسبها إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي عرفت في الفكر اللغوي العربي باسم النظرية الخليلية الحديثة".²

2-2- مفهوم الانفراد:

رأينا في معرض حديثنا عن المفاهيم النحوية قيمة التراث العربي و أهمية مقارنته بما ورد في اللسانيات الغربية و ما اتصل بها من محددات ذات بال و المفهوم الذي ينبغي أن نضيئه ههنا هو مفهوم الانفراد يقول عبد الرحمان الحاج صالح: "و قد بنى على ذلك النحاة أن اللفظ هو الأول، لأن هو المتبادر إلى الذهن أولا ثم يفهم منه المعنى، و يترتب على ذلك أن الانطلاق في التحليل يجب أن يكون من اللفظ في أبسط أحواله و هو الانفراد".³

ليست الغاية من دراسة النظرية الخليلية الحكم عليها و على ما توصلت إليه بقدر ما كان الغرض هو بسط أفكار أستاذنا عبد الرحمان الحاج صالح و نقل مفاهيمه الجديدة في هذا الحقل المعرفي الدقيق، و لهذه الاعتبارات فإننا سنورد مفهوم الأفراد و هو: "مفهوم أساسي في النحو العربي

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح، الخطاب و التخاطب في نظرية الوضع و الاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012، ص114.

² - نعمان بوقرة، مناهج اللسانيات الغربية و الفكر اللغوي العربي الحديث قراءة وصفية تحليلية للمنجز اللساني العربي، مجلة التواصل في اللغات و الثقافة و الأدب، الجزائر، ع 27، جوان 2011، ص55.

³ - عبد الرحمان الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة و الدراسات اللسانية الحالية في العلم العربي، وقائع ندوة اللسانيات في القطر العربية، دار الفكر الإسلامي، الدار البيضاء، ط1، 1987، ص 367.

لأنه يحدد منطلق كل تحليل، فالمفرد هو عند الخليل ما خلا من لوازمه أي ما يدخل عليه، و يبدو أن المتأخرين من النحاة لم ينفذوا إلى أهمية هذا التحليل.¹

إن التمعن في تحليل الوحدات من وجهة نظر عبد الرحمان الحاج صالح يجد أن: "كل العناصر المفيدة القابلة للانفراد تعتبر في اللسانيات الخليلية كأصول يمكن أن تُفرع منها وحدات أخرى بعمليات خاصة و هذا بعد حصر الأصول فهذا أقرب إلى الصياغة الرياضية من تحليل الجمل بعملية التقطيع المتسلسل و الاستبدال (Segmentation/Commutation) كما هو الحال عند الوظقيين".²

هكذا كانت تحليلات النظرية الخليلية للغة حيث يتم التمييز بين الوحدات و إرجاعها إلى الأصل و ردها إلى مبدأ الإفادة: "فأصغر الوحدات الخطابية هي في الغالب ما نقص فيها شيء أو أكثر من شيء فهي قابلة بذلك لزيادة ما نقص منها، و لاحظ العلماء في القديم أن "الكلمة المفردة" تدخل عليها (هذه عباراتهم) كلمات غير قابلة للانفراد، و ذلك مثل "ال"، و "الباء"، "في": و "من"، هذا من الناحية اللفظية الصورية، و لاحظوا في نفس الوقت أن هذه الكلم التي تدخل عليها هذه الكلم غير المفردة أن أكثرها تدل على ذات أي على شيء (object)، فجعلوها من قبيل الأسماء، والأخرى تدخل عليها بعض الكلم أيضا تختص بها، مثل "السين"، و "سوف"، و "لم" و "لن" فجعلوها من قبيل الأفعال لأنها تدل على حدث (Process) في أثناء حدوثه و تُعرف صوريا بما يدخل عليها،"³ وعلى هذا الأساس تم تقديم تصور الاسم المفرد على هذا الشكل التفريعي:⁴

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2006، ج2، ص 72.

² - المرجع نفسه، ص 83.

³ - المرجع نفسه، ص 83-84.

⁴ - المرجع نفسه، ص 85.

يشير الشكل أعلاه إلى قابلية الاسم للانفراد و يسمى سيبويه الكلمة: " غير القابلة للانفراد زوائد (على الاسم أو على الفعل)، فهو يعتبر "الاسم المفرد"، مثلاً، كأصل تزداد عليه زوائد خاصة به لكل واحد منها في موضع خاص، فالاسم تأتي قبله مباشرة كزيادة "ال"، فهذا تحديده اللفظي الصوري، وتحديده المعنوي الدلالي أنه يدل على تعريف مسمى الاسم (جملة معرفة غير نكرة)، و تأتي قبل "ال" كلمة من مجموعة الكلم التي ستسمى خاصة بعد سيبويه حروف الجر، كما يأتي بعد الاسم-

النواة-علامة الإعراب مباشرة و التتوين أو المضاف إليه (أحدهما يعاقب الآخر عموديا و كلاهما يعاقب "ال" أفقيا)، ثم يأتي في الآخر موضع خاص بالاسم أيضا و هو موضع الصفة.¹

2-3- مفهوم اللفظة:

لقد كشفت ملاحظات عديدة -عرضها صاحب النظرية الخيلية الجديدة- قدرة العلماء العرب على تحديد المفاهيم منها مفهوم اللفظة و يقول: "فهذه الوحدات (اصطلحنا على تسميتها باللفظة وأخذنا ذلك من الرضي) تجهلها اللسانيات الغربية الحديثة فيما اشتهر منها لأنها لا تعرف في وضعها الحالي إلا الوحدات المقطعة الصوتية التي لها بداية و نهاية ليس غير، و ذلك مثل الكلم المفردة، أما الوحدات القابلة للامتداد أو التقليل حسبما كان يتصوره الخليل و سيبويه (مثل الاسم عندما يتصرف فيه المتكلم) فلا سبيل إلى وجودها عند الغربيين و من اتبعهم (و لا يوجد أيضا عند المتأخرين من النحاة العرب)."²

تقتضي منا ضرورة الوضوح أن نعود إلى مفهوم اللفظة عند سيبويه و الذي تحدث عنها بمختلف العبارات يقول: "فأما النعت الذي جرى مع المنعوت فقولك: مررت برجلٍ ظريفٍ قبلُ، فصار النعت مجرورا مثل المجرور لأنهما كالاسم الواحد،"³ و يعني بها اللفظة، و بهذا تم استثمار كل الجهود التي بذلت من قبل العلماء العرب حيث لم يستثن عبد الرحمان الحاج صالح أحدا من المتقدمين و شروحاته مهما كانت طفيفة و هو القائل أنه: "يمكن للنظرية اللغوية العربية أن تلعب دورا كبيرا في الدراسة العلمية للغات بما فيها اللغة العربية لأنها كانت نتيجة للنظر في العربية فإن عمقها العجيب يجعلها في مستوى النظريات اللسانية الحديثة وسيلجأ إليها لتفسير الكثير من الظواهر اللغوية،"⁴ إن نجاعة أي نظرية مرتبط بمدى الإفادة من الأسس التنظيرية و التطبيقية على حد سواء و صاحب النظرية الخيلية الجديدة لم يترك شاردة و لا واردة من المفاهيم اللسانية التراثية إلا وأحصاها و تتبعها.

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 84.

² - المرجع نفسه، ص 50.

³ - سيبويه، الكتاب، ج1، ص 421-433.

⁴ - عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ص 53.

2-4- مفهوم الموضع:

يستتبع عرض المفاهيم الأساسية في النظرية الخليلية الجديدة، و ما نراه ضروريا و لا يمكن الاستغناء عنه هو مفهوم الموضع الذي كثر ذكره في التراث النحوي العربي يقول عبد الرحمان الحاج صالح: " للوحدات اللغوية مواضع خاصة في تركيب الكلام فإذا وضعت في غير موضعها فإما أن يقبح ذلك في غير الشعر و إما أن يكون لحنا لم تتكلم به العرب، والموضع تعرف به أجناس هذه الوحدات، فكل وحدة تستطيع أن تدخل في موضع الأسماء أو موضع الأفعال أو موضع حروف المعاني، فمعنى ذلك أنها تتدرج تحت أحد هذه الأجناس ويكون مجراها و حكما(= مسلكها وأحوالها) مثل مجراها و حكمها، هذا، كما يقولون، حد الكلام وأصله و قد يكون للعنصر الواحد أكثر من موضع فيتحول حكمه و مجراه بحسب الموضع فيجري مجرى الباب الذي ينتمي إلى ذلك الموضع".¹

من خلال هذا القول نفهم أن الموضع مرتبط بالتركيب و هذا التركيب لا ينفك عن فكرة النظم حيث يترتب بشكل مخصوص و كل قطعة فيه لها موقعها و موضعها من الكلام وبهذا الاعتبار نستشف بأن الموضع يحصل في مستويات مختلفة و هذا بالضبط ما ذهب إليه النحاة الأوائل فقد يكون للفظ مثلا عدة مواضع حسب الشواهد التي أوردها الحاج صالح من كتاب سيبويه و أقوال الخليل يقول: " و على هذا فعبرة "كتاب" تقتضي كاسم كامل الاسمية عددا من المواضع يكون كل واحد منها موضعا خاصا لإحدى الزوائد التي تدخل على الاسم في تصور الخليل و سيبويه أي كبنية و مثال، فالاسم كبنية له ستة مواضع يمكن أن تخلو مما تدخل فيها إلا الموضع المركزي وهو " الاسم المفرد" كما يقول سيبويه.²

لقد عالج النحاة الأوائل لغتهم و حللوها من خلال معرفة أنحائها و بنوا تصوراتهم على أسس متينة لا تقل شأنًا عما جاء به الأوروبيون في تقطيعهم للغاتهم حسب مدرج الكلام، غير أن هذا المفهوم لم نجد له ما يساويه أو يدانيه عند الغرب كافة و هو ما وقف عليه صاحب النظرية الخليلية الجديدة، و هذا دليل على أن العرب قد برعوا بحق في مجال دراسة اللغة.

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 10-11.

² - المرجع نفسه، ص 13.

2-5- مفهوم العلامة العدمية:

في ضوء المفاهيم الخليلية الجديدة و ما تقتضيه من توضيح نظري و تطبيقي، نرى من الضروري استكمال مفهوم الموضع بالحديث عن العلامة العدمية التي جاءت مرتبطة به يقول عبد الرحمان الحاج صالح: "ثم إن خلو الموضع من العنصر له ما يشبهه و هو "الخلو من العلامة" أو "تركها"... و هو ما نسميه نحن بالعلامة العدمية (Expression zéro) و هي التي تختفي في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر و ذلك كجميع العلامات التي تميز الفروع عن أصولها (المفرد و المذكر لها علامات غير ظاهرة بالنسبة للجمع و المثنى والمؤنث و المصغر)."¹

و الحقيقة أن مفهوم العلامة العدمية لا يتداخل مع مفهوم الموضع بل هو مرتبط به أشد الارتباط تماماً مثلما هو مرتبط مع مفهوم العامل المعروف بالعامل المعنوي و هو عبارة عن معنى ذهني مجرد، تمكن النحاة العرب من اعتماده أثناء التحليل اللساني لأنحاء اللغة عن طريق القياس الذي أجروه و مثال ذلك: علامة عدمية + زيد منطلق، إن زيد منطلق، كان زيد منطلق؛ فالعامل المعنوي في الجملة الأولى يمثل له بالعلامة العدمية، أما في الجملة جملتين الأخيرتين فالعامل هو لفظي.

2-6- الأصل و الفرع:

كلام العرب و سننهم جار على قسمين اثنين هما الأصل و الفرع اللذين بنيت عليهما اللغة العربية و قد تحدث صاحب النظرية الخليلية الحديثة عن هذين المفهومين في معرض حديثه عن التحويل في النظرية التوليدية التحويلية لنوام تشومسكي يقول: "و في كلا الحالين يوجد أصل و فرع (أو فروع)، أما الأصل الذي هو منطلق كل تحويل فيقول عنه العرب أنه " ما يُبنى عليه و لا يُبنى هو على غيره" أو " ما تفرع عليه الفروع"...و يمكن أن نقول على إثر ما قالوه أن الأصل هو الشيء غير المسبب الثابت المستمر لأنه يوجد في جميع فروعه مع زيادة، و لذلك لا علامة له بالنسبة لفروعه فهي تحتاج إلى علامة، مثل المذكر بالنسبة إلى المؤنث، و المفرد بالنسبة إلى المثنى و الجمع، و المبتدأ أو الخبر بالنسبة إلى الجملة التي تحتوي على زوائد عليهما، و المضارع بالنسبة إلى الماضي، و غير ذلك."²

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 222.

² - المرجع نفسه، ج2، ص 43.

لقد ألمح سيبويه إلى مفهومي الأصل و الفرع بقوله: "لأن الأسماء كلها أصول التذكير"،¹ ويواصل الحديث عن الأصل و يقول: "فالأفعال أثقل من الأسماء، لأن الأسماء هي الأولى و اعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة و هي أشد تمكنا، لأن النكرة أول، ثم يدخل عليها ما تعرف به... و اعلم أن الواحد أشد تمكنا من الجمع، لأن الواحد الأول، و اعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول و هو أشد تمكنا، و إنما يخرج التأنيث التذكير".²

و الخلاصة هي أن الأصل هو عدم الزيادة و التحويل على حد تعبير التوليديين هو الذي يحول الأصل إلى فرع أو يحول الفرع إلى أصل و الكلام في مفهومي الأصل و الفرع يحتاج إلى الصفحات الطوال و عليه من أراد الاستزادة من هذا النظام اللغوي الفريد ما عليه إلا قراءة الكتب النحوية التراثية و البحث عما جاء فيها لأن المقام لا يسعنا -ههنا- للتفصل في هذه المسألة اللغوية المعقدة.

2-7- مفهوم الحركة:

المقصود بالحركة: "هو الحركة العضوية الهوائية التي تحدث الحرف من جهة، و تمكن من الانتقال من مخرجه إلى مخرج حرف آخر و يرافقها في الغالب مصوت... و على مفهومي الحركة والسكون بنى الخليل عروضه فتقطن إلى أن توالي المتحرك و الساكن أو المتحرك والمتحرك والساكن يحدث منه إيقاع في الشعر،"³ و ما يلفت الانتباه ههنا هو أن الحركة هي التي تجعل المتكلم ينتقل من حرف إلى آخر دون إخراج الهواء عكس ما جاء في مفهوم السكون.

2-7- مفهوم العامل:

حاول عبد الرحمان الحاج صالح إعطاء الوزن الذي يليق بالنظرية الخيلية الحديثة في الوطن العربي و خارجه من خلال الحديث عن العديد من المفاهيم مثل مفهوم العامل الذي يعد عماد النحو العربي و قوامه الذي لا يستقيم الكلام إلا به و هو فكرة محورية في النحو العربي، ومن شدة أهميته فقد بالغ العرب بذكره في علوم العربية: "إن بحث نظرية العامل هو في واقعه بحث في أخطر قضية

¹ - سيبويه، الكتاب، ج1، ص 22.

² - المرجع نفسه، ص 20-22.

³ - عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 64.

في النحو العربي، فنظرية العامل ليست تتناول بابا نحويا معينا، تنتهي أهميتها بالفراغ منه، و إنما هي الروح السارية في جميع المباحث النحوية ابتداء من تعريف الكلمة إلى تناول التركيب.¹

و ما دام مفهوم العامل هو المحرك العام للنحو العربي فقد جاء ذكره في نظرية الحاج صالح الذي يقول فيه: "ينطلق النحاة من العمليات الحملية أو الإجرائية: يحملون مثلا أقل الكلام مما هو أكثر من لفظة باتخاذ أبسطه و تحويله بالزيادة، مع إبقاء النواة،... فلاحظوا أن الزوائد على اليمين تغير اللفظ و المعنى بل تؤثر و تتحكم في بقية التركيب كالتأثير في أواخر الكلم (الإعراب)"² وحتى يتضح مفهوم العامل أكثر أعطى العلامة مثالا يبين من خلاله العامل: إن زيدا قائم و كان زيدا قائما و حسبت زيدا قائما و وضعها في شكل جدول بحيث يمثل العنصر الأول العامل و هو بمثابة العامل اللفظي و نعني بذلك: "إن و كان وحسبت" يقول: "ففي العمود الأيمن يدخل عنصر قد يكون كلمة أو لفظة بل تركيبا و له تأثير على بقية التركيب و لذلك سمي "عاملا".³

إن أهم ما نخرج به من سرد المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة هو الارتباط الوثيق بينها و بين ما ورد في التراث النحوي العربي الثري بمصطلحاته و تصوراته و لأن المفاهيم المذكورة في النظرية كثير فقد اقتصرنا على بعضها لضيق المقام.

¹ - مصطفى بن حمزة، نظرية العامل في النحو العربي: دراسة تأصيلية و تركيبية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط1، 1425هـ-2004م، ص 14.

² - عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 222-223.

³ - المرجع نفسه، ص 223.

المحاضرة السادسة

اللسانيات العربية والغربية 1: التأثير

تمهيد:

لقد بنيت العلوم من خلال التراكم المعرفي الذي يحصل عبر السنين، و لا سبيل إلى الخلاص من التأثير أو التأثير، و كدأب الباحثين الجادين في اللسانيات العربية فإن الغرب قد نهل من الفكر العربي بالقدر الكافي لبناء نظريات و علوم جديدة، سواء أتم الإقرار بذلك أم لم يتم، و الحقيقة أن البت في أمر هذا التأثير لا يمكن أن يتحقق من غير اعتراف الغير بذلك، و ربما نجد هذه الاعترافات هنا أو هناك و يبقى الأمر مرهونا بأصحاب المدارس و النظريات و ما أخذه من تراثا اللساني العربي.

1- دور الحضارة العربية في النهضة الغربية:

كانت البدايات الأولى لدراسة اللغة في مجال اللسانيات الغربية مع اللسانيين التاريخيين، وآنذاك كثرت الدعوات إلى البحث عن أصول اللغات و أثناء ذلك تم التعرف على اللغات السامية وتم اكتشاف اللغة العربية و جمالها و كانت هذه هي الآفاق التي فتحت أبواب البحث في التراث اللساني العربي و هنا ينبغي ألا نكون جاحدين أو منغلقيين على ذواتنا: "على أننا بهذا المنطلق الحضاري نؤكد أن التراث العربي جزء من التراث الإنساني، فهو ملك مشاع بين رواد المعرفة البشرية، و حرام أن يظل مغلق الأبواب أمام بصائرهم، فبقراءتنا للتراث العربي لا نقدم فحسب خدمة لميراثنا، و لا نقدم جميلا لذواتنا فقط: و إنما نغدق على الفكر الإنساني بوابل الإسهام، فتتحول علاقتنا بعلم اللسان الحديث تحولا طبيعيا من مركز الخصيم إلى موقع النصير".¹

لكن للأسف الشديد هذا التراث الحضاري الذي خلفه العرب لم ينل حقه من التبجيل لدى الغرب نظرا لنزعة: "الاستعلاء عند الغربيين التي جعلتهم لا يعطون الحضارات الأخرى تقويما موضوعيا، بل جعلوا الحضارة الغربية أساسا لمحاكمة الحضارات و قياسها؛ مما جعلهم لا يعترفون - إلا يسيرا من علمائهم - بدور الحضارة الإسلامية في بناء حضارة الغرب، بل إنهم أعملوا مباحضهم في تشريح"² التراث العربي للإبراز نقائصه و تشويهه عوض الاعتراف به و إعلاء قيمته، و للأسف هكذا هم الغرب.

¹ - عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010، ص 29.

² - ضياء العمري، التراث و المعاصرة، ص68.

و من المفارقات الغربية لدى الغرب أنهم يأخذون العلوم العربية ثم ينسبونها إليهم و هذا الأمر حدث أكثر من مرة وما نظرية ابن النفيس و ابن هيثم و ابن مسكويه و الرازي¹ و هي مبنوثة في نظرياتهم و الأدلة كثيرة بتأثير الحضارة العربية في الغرب، أقر بها من أقر و أغفلها من أغفل، وهنا لابد أن نحكي تراثنا العلمي من السرقة من خلال دعوة الباحثين لتحقيق الكتب العربية القديمة ونفض الغبار عنها.

إن إنصاف الحضارة العربية و العلوم اللسانية بشكل خاص لا يحصل بين ليلة و أخرى ونحن بحاجة ماسة إلى بحوث علمية رصينة و موضوعية تبرز ما للحضارة العربية على الغرب الجاحد بحقوق الشعوب و الحضارات، و الشعور بفخامة التراث العربي وحده يكفي للافتخر به و بعلمائه الذين لم يدخروا أي جهد سواء في علوم اللغة و غيرها من العلوم الأخرى.

2- اللسانيات العربية من المنظور الغربي:

كان للعرب فضل سبق في جميع المجالات لاسيما في مجال اللسانيات، و الواقع أنه عندما كانت اللغة العربية في أوج عطائها كان الغرب يتخبطون في ظلمات بعضها فوق بعض؛ وبقدر ما كان الأخذ من علوم العرب بقدر ما كان النكران لذلك شديدا، إذ من غير السهل الاعتراف بتأثير الحضارة العربية على الغرب، و الجميع على علم بذلك خصوصا من قبل الذين بنوا نظرياتهم الجديدة على أنقاض النظريات العربية التي تبدو للقارئ المبتدأ أنها جديدة و الحقيقة أنها تحويل للنظريات العربية القديمة.

و مهما يكن من الأمر فإن التاريخ يشهد بالكثير من المواقف الفكرية المشابهة لما نراه اليوم في بعض النظريات الغربية و استعراض هذه النماذج من قبل بعض النقاد و اللسانيين دليل على ذلك، و يبقى قانون الجذب هو الغالب، و كما قال ابن خلدون المغلوب مولع بالغالب و الحضارة العربية في القرون الأولى منذ سؤدها كانت في أوج العطاء و الازدهار و لا غرابة في أن يتأثر بها الغرب الذي كان حتى القرون الوسطى يعيش في ظلام دامس.

لم يكن الغرب يعي في بادئ الأمر قيمة اللسانيات التي من المعلوم أنها: "أصبحت في حقل البحوث الإنسانية مركز الاستقطاب بلا منازع، فكل تلك العلوم أصبحت تلتجئ في مناهج بحثها وفي تقدير حصيلتها العلمية إلى اللسانيات و إلى ما تنتجه من تقديرات علمية و طرائق في الاستخلاص و مرد كل هذه الظواهر أن علوم الإنسان تسعى اليوم جاهدة إلى إدراك المنزلة

¹ - عبد المجيد دياب، تحقيق التراث منهجه و تطوره، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1983، ص 13.

الموضوعية بموجب ضغط المنزع العلمي على الإنسان الحديث، و لما كان للسانيات فضل سبق في هذا المخاض الثقافي و الفكري و المعرفي الواسع فقد غدت جسرا أمام بقية العلوم الإنسانية يعتليه الجميع بقصد اكتساب القدر الأقصى من الموضوعية و الصرامة.¹

و ما حظيت به اللسانيات العربية من حفاوة عند الغرب لحقيقة لا يمكن إنكارها رغم إغائهم إياها عند التأريخ للسانيات كميراث إنساني، و ما نقوله ليس حكما جزافيا بل هو واقع وجدناه في كتاباتهم التي حاولت إغفال فترة مهمة من تاريخ العلوم اللسانية، و من المعلوم أنه لولا ما جاء به العرب لما حدثت الطفرة في الدراسات الغربية و لا يخفى ذلك عن أحد، خاصة و أن اللسانيات: "قد أوكل إليها اليوم مقود الحركة التأسيسية في المعرفة الإنسانية لا من تأصيل المناهج و تنظير طرق إخصابها فحسب لكن أيضا من حيث إنها تعكف على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لها وموضوعا، و لا يتميز الإنسان بشيء تميزه بالكلام."²

من الطبيعي أن يتأثر الغربي بالعربي و الغربي بالغربي أيضا لأن المعرفة إنسانية و لا يمكن للساني مثلا أن ينطلق من العدم و نجد ذلك واضحا بين الفكر اللساني الأوروبي و الأمريكي ففي: "الوقت الذي كانت فيه المدرسة الأمريكية مع البحوث اللغوية تمعن في استكناه خفايا تشكل القدرة الكلامية عند الانسان، و ذلك على أيدي التوليديين، كانت المدرسة الأوروبية و لا سيما في الأسرة الفرنسية تتباهى بالعلم اللساني نحو آفاق توغل في التأمل النظري، و تؤسس لتفكير مجرد حتى تعانقت اللسانيات الفلسفة بعد أن التقتا على منصة إبستيمية المعرفة."³

هذا الالتقاء الذي لولاه لما تشكلت اللسانيات الغربية، و الحق أن اهتمام التوليديين بما جاءت به الفلسفة ليس شططا و ما تأثير الدراسات العربية إلا جزء مما طفى على السطح: "و ليس صدفة أن أصبح نوام تشومسكي حريصا هذه السنوات إلى حد التهافت على أن يقدم له طلبته ومريده من أبناء الأمة العربية كشوفا ميسرة عن التراث النحوي العربي، فلقد استشعر أن أمة أدركت مراتب التجريد الفلسفي من جهة و الرياضي من جهة أخرى لابد من أن منظومتها النحوية قد شارفت حد المنطق الصوري، و ما هو بمخطئ فيما استشعره."⁴

¹ - عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص 10.

² - المرجع نفسه، ص 11.

³ - المرجع نفسه، ص 13.

⁴ - المرجع نفسه، ص 23.

3- تأثير اللسانيات العربية في اللسانيات الغربية:

لم تقم قائمة للغرب إلا بما نهلوه من الحضارات الإنسانية المختلفة و النهضة العلمية والفكرة التي بنوا صرحها لم تأت من فراغ، رغم أنهم لا يعترفون بذلك و قد استعرض عبد السلام المسدي من خلال بحوثه أدلة تنكر اللسانيات الغربية للبحث العربي في التأريخ للسانيات العربية يقول: "وهكذا ينعدم ذكر العرب عند التأريخ للتفكير اللساني البشري بما يحدث القطيعة في تسلسل التاريخ الإنساني و هذه القفزة "الاعتباطية" أو ما يمكن أن نسميه بالشجرة العربية في تأريخ اللسانيات لا يُفسرها جهل المؤرخين للغة العربية بما أنهم يستعرضون ثمرة حضارات لا يعرفون لغتها، بل نراهم يقفون بالحدس و التخمين على عصور انقرضت لغة الأمم التي عاشت فيها، و إنما يُفترض فحسب أنهم وضعوا نظرية اللغة، و ليس تراث التفكير اللغوي العربي هو وحده " المنسي" في هذا المقام بل إن العربية ذاتها باعتبارها نمطا لغويا لا تجد حظها عادة عند استعراض اللسانيين لنماذج اللغات في العصر الحديث".¹

تنطق الكتب اللسانية الغربية ببديع ما توصل إليه العرب في لغتهم و عن طبيعتها السلسلة وراثتها اللامتناهي لكن في حدود ضيقة جدا لا تتعدى الإشارات البسيطة هنا و هناك و لا ينبغي التغاضي عنها مطلقا: "إن هذه الثغرة في تواصل التفكير اللغوي عبر الحضارات الإنسانية لا يمكن أن تكون عفوية و لا يجوز أن تخلو من مؤشرات تاريخية تُفسرها و إن لم تستطع تبريرها، و قد يسعنا أن نستشف حوافز هذه الظاهرة بالعودة إلى مميزات عبور الحضارة الإنسانية من العرب إلى الغرب، فالنهضة اللاتينية قامت أساسا على مستخلصات الحضارة العربية بعد أن أقبلت على ترجمة أمهات التراث فيها، وقد عمد الغرب إبان نهضته إلى نقل علوم العرب و معارفهم و ذلك في ميدان العلوم الصحيحة"² و قد أجمل لنا الباحثون العلوم التي أخذها الغرب عن آبائنا العرب و هي كثير يمكننا تفصيلها في نقطتين اثنتين هم:³

أولا: من رياضيات و فلك و فيزياء و كيمياء، و في ميدان الطب.

ثانيا: ثم في ميدان الفلسفة حتى كان ابن رشد مفتاح النهضة الأوربية إلى تراث اليونان وخاصة المعلم أرسطو، فبرزت هكذا أعلام الحضارة العربية ركائز للغرب في علومه معارفه.

¹ - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص22.

² - المرجع نفسه، ص22.

³ - المرجع نفسه، ص 22-23.

نتلمس من خلال القراءات النقدية التي سقناها للعلماء و الباحثين في اللسانيات الغربية والعربية صدق تلك الآراء التي غُيّبت فيها الدراسات العربية قصدا وعمدا و لا داعي لإخفاء أسرار هذه الظاهرة التي لطالما تكررت في مختلف العلوم خاصة في العلوم اللسانية و يستطيع أي منا الاطلاع على أسباب ظهورها و هي:" أن علو اللغة سابقا ما كانت إلا ممارسة لميقات نوعية حاول اللغويون بعدها تأسيس قواعدها النظرية و إذا تسنى لهذا التقرير أن يصدق على التراث الإنساني جُملة - كما يجزم به هيالمسالف فلعله يُخطئ الصواب في شأن التراث العربي كما نعزم أن ننشبهه في ما نحن بصده، على أنه قد يكون للعنصر الديني أثره في الغفلة عن التراث اللغوي العربي ذلك أن قضايا اللغة قد كانت ملابسة لقضايا المعتقد في كل الحضارات التي عرفت بكتاب سماوي و قد نتج عن ذلك حاجز من المحظورات بين الأمم في قضايا اللغة قداسة أو تدنيسا.¹

و لا شك أن هذا الرأي هو الصواب لأن العلوم اللغوية عند العرب ارتبطت في معظمها بالقرآن الكريم لكن المثير للاهتمام هو ذكر الحضارات الأخرى من قبل الغرب مثل الحضارة الهندية رغم الاختلاف في الدين و اللغة، و نحن لا نشك في قيمة ما جاء في هذا المذهب الفكري، و إنما نحاول قراءة ما كُتب في هذا المجال بعناية لنصل إلى رأي سديد نسد به رمق المتعطشين إلى معرفة مدى تأثير اللسانيات العربية على اللسانيات الغربية.

قد تكون النتائج التي جاءت بها اللسانيات الغربية مبهرة لكن خبايا التراث العربي لو سلطنا عليها الضوء لفاقت ما توصل إليه الغرب بكثير، أما:" النتيجة المبدئية التي آل إليها "نسيان" تراث العرب في اللغويات العامة فهي حصول قطع في تسلسل التفكير اللساني عبر الحضارات الإنسانية، فنهضت الحضارة الغربية على حصيلة التراث اليوناني أساسا و لكن في معزل عن مستخلصات ثمانية قرون من مخاض التفكير اللغوي عند العرب، و إذا جاز لنا أن نبسط مصادرة في البحث أمكننا أن نقرر افتراضا أن أهل الغرب لو انتبهوا إلى نظرية العرب في اللغويات العامة عند نقلهم لعلومهم في فجر النهضة لكانت اللسانيات المعاصرة على غير ما هي عليه اليوم، بل لعلها كانت تكون قد أدركت ما قد لا نُدركه إلا بعد أمد.²

4-إزدهار الدراسات في الحضارة العربية:

إن القضايا اللغوية التي بحث فيها العرب شتى و لم تقتصر على مستوى دون آخر، فعناية العلماء في جميع الفترات التاريخية كانت قائمة على العلم مثلما هي حال العلوم الغربية اليوم، كانت

¹- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 23.

²- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الحضارة العربية تستقطب الدارسين من كل أقطار العالم حيث كانت قبلة الباحثين عن العلم: " فقد كان أسلافنا أساتذة للغرب في الأندلس و صقلية و ثغور الشام و نهل منهم أبناء الغرب مما أتاح لهم نهضتهم الحديثة، حيث درس هؤلاء تراث العرب العلمي في مؤلفاته و مصنفاته.¹

لا ريب أن بعض الكتب التي وجدت في متاحفهم خير دليل، و إن كنا لسنا بحاجة إلى أي برهان؛ لأن الغرب لم يكن لهم أن يستيقضوا من سباتهم لولا اطلاعهم على التراث العربي و نقلهم العلوم عن طريق الترجمة، والشهادات كثيرة و من ظهرانيهم و نقصد بذلك المستشرقين تقول المستشرقة الألمانية سيجريد هونكة في كتابها المشهور فضل العرب على أوروبا: " إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية و أن الدين في عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جدا، و كان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد، لكن التعصب و اختلاف العقائد أعمى عيوننا، وترك عليها غشاوة، حتى إننا نقرأ ثمانية و تسعين كتابا من مئة، فلا نجد فيها إشارة إلى فضل العرب، و ما أسدوه إلينا من علم و معرفة... إن العرب ظلوا ثمانية قرون يشعون على العالم علما وفنا و أدبا و حضارة، كما أخذوا بيد أوروبا و أخرجوها من الظلمات إلى النور، و نشروا لواء المدنية أنهم ذهبوا في أقاصي البلاد و دانيها، سواء في آسيا أو لإفريقيا أو أوروبا، ثم تنكر أوروبا على العرب الاعتراف بهذا الفضل² و أي فضل لقد أغرفت أوروبا بكتب و مصنفات العرب التي انكبوا على تدارسها ليل نهار، و عندما يعترف أحدهم بهذه الحقيقة لا يبقى لنا شيئا نقوله أبدا.

عُرف عن الحضارة العربية التقاني في إنتاج العلم و المعرفة، و المخطوطات التي بقيت إلى اليوم في المكتبات الغربية تنبأ عن سعة ذلك العلم حيث لم تتوقف جهودهم الفكرية على الكتابة والتصنيف بل تعدتها إلى الصناعة المادية، و لو أننا بذلنا جهدا في التفتيش عما تركته لنا هذه الحضارة العريقة و ما تركه لنا آباؤنا و أجدادنا لما بقينا جامدين و مذبذبين لا نحن تابعين لهؤلاء ولا لهؤلئك، و نعتقد أن الوقت لم يحن بعد للاستسلام و وضع الأيدي إذ علينا أن نشمر على سواعدنا و ننقذ ما يمكن إنقاذه، إنها حضارتنا و إنه تاريخنا فعلياً أن نشد على بعضنا البعض و نحیی لغتنا و مجدنا من السبات الذي طال، فبعد أن كنا ملهمين للحضارة الغربية التي تأثرت بدراساتنا اللسانية أصبحنا نحن من تأثر بها للأسف و هذا ما سنراه في المبحث الموالي الذي كان بعنوان اللسانيات العربية و الغربية: التأثير.

¹ - شوقي ضيف، في التراث و الشعر و اللغة، دار المعارف، القاهرة، 1987، ص 68.

² - زيغريد هونكة، شمس الله تسطع على الغرب، تر: فؤاد حسنين علي، مكتبة رحاب، الجزائر، 1406هـ-1986م،

المحاضرة السابعة

اللسانيات العربية والغربية 2: التأثير

تمهيد:

اشتغلنا في المواضيع السابقة على تأثير اللسانيات العربية في الحضارة الغربية و لاحظنا اختلاف وجهات النظر في قضية التأثير و التأثير و ما تناولناه ليس إلا غيضاً من فيض، فما أكثر المذاهب التي قالت بالتأثير العربي، لكن في هذه المحاضرة سنتحدث عن التأثير الذي مارسه الحضارة الغربية على الشرق، و نحاول إجلاء الغموض الذي ساد هذه المسألة و نتحقق من غلبة الكفة إلى الغرب من عدمه، وندرس كيفية تلقي اللسانيات الغربية في الثقافة العربية.

1- تلقي اللسانيات الغربية في الثقافة العربية:

تتقوى الحضارات بالثقافة التي تظهر ملامحها من خلال ما تحتويه من ثراء و تنوع، وبناء المجتمعات يبدأ من تمسك الأفراد بالقيم الحضارية المأخوذة من التراث، و مسؤولية الحفاظ على هذا التراث هي مسؤولية العلماء و الباحثين، و لأن العالم اليوم يشهد ثورة معرفية و تكنولوجية فإن عملية التأثير أو التأثير ستشهد تصاعداً رويداً رويداً، و هنا تكمن الصعوبة وتظهر التحديات.

إن الإحساس بالوعي الثقافي لدى الفرد العربي ليست مسؤولية الجامعات أو المؤسسات الحكومية بقدر ما هي مسؤولية الفرد من حيث الوعي الفكري بقوة الاستلاب الحضاري الذي هيمن على الأمة العربية مدة طويلة، و لن يتحقق الوصول إلى القمة إلا بالعمل و الجهود المضنية من أجل رفع راية العلم عالياً، و لا يخفى عنكم أن الدور الذي تضطلع به الدراسات اللسانية بشكل محوري باعتبارها لب العلوم الأخرى لأن اللغة لا تخلو من أي علم مهما قل أو كثر: "إن دور العلماء في بناء المجتمع..أساسي و فعال، و إن الأمة اليوم تتعرض لأعتى أنواع الغزو في مراحل تاريخنا الثقافي و الحضاري، و هي بحاجة إلى وقفة مشهودة من علمائنا"¹ في اللسانيات العربية.

إن الفراغ الذي شهدته الساحة العربية في مجال الثقافة اللسانية ينبأ بالركود الفكري والتأخر الذي طال مجالات كثيرة، حيث كان العرب يعانون في فترة من الفترات بالضعف وكانوا يعتمدون في تدوين معارفهم على العجم يقول ابن خلدون: "من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم، و ليس في العرب حملة علم لا في العلوم الشرعية، ولا في العلوم العقلية، و لا في

¹ - إكرام ضياء العمري، التراث و المعاصرة، ص108.

القليل النادر، و إن كان منهم العربي في نسبته، فهو أعجمي في لغته و مرباه و مشيخته، مع أن الملة عربية و صاحب شريعته عربي.¹

ليس غريبا أن يتم تلقي اللسانيات الغربية في العالم العربي بالترحيب و الاحتضان لأن الإطار الابيستيمولوجي كان مهيناً سلفاً، و في خضم هذا التماهي الذي نشهده اليوم فإن المناداة بدراسة عربية صرفة هو من المطالب التي تتادي بها بعض الجهات المتخصصة في التراث، و دليل ذلك هو انكباب الباحثين لتدارس العلوم الغربية و مقارنتها بما ورد عند السلف من أجل مطابقتها، وهذا الأمر شكل منعرجاً حاسماً في مسار البحث اللساني العربي.

إن عملية التلقي العربي للنظريات اللسانية كان عن طريق الترجمة التي غزت كل شبر من الوطن العربي و الهدف هو نقل العلوم اللغوية و اتباع نهجها لكن: "الترجمة الثقافية العربية لا يمكن أن تسهم في تقدم البحث اللساني في الثقافة العربية و إغنائه إلا إذا تحولت إلى حركة واسعة تتجاوز التجزيئية و الارتجال و الانتقال غير الواعي للنصوص و تحديد المصطلح و الاتفاق على معاجم موحدة... و لا يمكن أن يتحقق كل هذا إلا بوجود مؤسسة عربية يعهد إليها بمراقبة ما يترجم و ينشر و تكون لها سلطة المتابعة و الضبط و الرجوع، و توفر لها الإمكانيات الكفيلة بتوحيد الجهود، حتى نقادى ضياع الجهود و هدر الطاقة في بعض الترجمات المكرورة."² و لكن المسألة ليست متعلقة باستحدث هيئات رسمية ترعى الترجمات اللسانية لأنها استحدثت فعلاً فالأمر متعلق بالثقافة اللسانية الغربية في حد ذاتها ومرجعياتها الدينية و الأيديولوجية، و الأسئلة المطروحة في هذا الباب كثيرة جداً.

معلوم أن الترجمة هي من فتحت الباب على مصراعيه لتلقف العلوم اللسانية من الغرب والترجمة على قدر كبير من الأهمية في جميع المجالات، إن نقل المعارف هو نقل لثقافة الآخر أيضاً و الترجمة هي الوسيط، و لا نبالغ إذا قلنا أن الترجمة: "تواصل حر بين الحضارات...إننا ننقل النظريات أو المصطلحات و لكن يظل حديثنا بها رطانا؛ لأننا لا نستطيع أن ننقل الرأس المبدع

¹ - ابن خلدون، المقدمة، تح: إيهاب إبراهيم، مكتبة ابن سينا للطبع و النشر و التوزيع، القاهرة، 2009، ص614.

² - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009، ص222.

و قد نستورد نظريات و مناهج التعليم و لكننا لا نستطيع أن نستورد الشغف بالعلم و النهج المعرفي ذاته، أي روح العلم ذاته.¹

عندما ظهرت اللسانيات عند الغرب مع سوسير كانت البلدان العربية تعاني التخلف والضعف، و من الطبيعي أن يتم التأثير بهذا العلم الجديد الوافد في الثقافة العربية والحقيقة هي أن استيراد الأفكار و التأثير بها ليس مقتصرًا على المجال اللغوي وحسب بل هو شائع في جميع الميادين لكن المشكلة التي ينبغي التنويه إليها هي الانفتاح على الثقافات الأخرى دون هدي و تبصر؛ و عواقب ذلك وخيمة.

إننا ندعو إلى التريث في التعامل مع النظريات و المناهج اللسانية الغربية لا من قبيل الاعتزاز بالتراث و التوقف عن الاجتهاد فيه بل من أجل الاستثمار فيما هو جاهز و يحتاج إلى مواصلة الجهود و الإبداع فيما تبقى من إشكاليات لغوية مطروحة في لساننا العربي وليس في السنة الأمم الغربية الأخرى و لما كانت: "الترجمة أحد جناحي النهضة لاستيعاب النهم واقتناص معارف الآخر و الجناح الثاني هو الإبداع الذاتي في مجال الفعل و الفكر"،² فإن حالنا في ترجمة المعارف يبقى ضعيفا إلى حد ما فهي: "ترجمات ضعيفة في مجموعها يخولها المصطلح اللساني المختار، و هو يتعدد بتعدد المترجمين و البلدان، لذا يصح القول بأن الترجمة لم تسعف في إرساء اللسانيات في البلدان التي ينتمون إليها، و قد يمتد هذا الضعف ليشمل العبارة فيتم التشويش على المعنى"³، و هي حقيقة لا ينكرها أشهر المترجمين و أقدرهم كفاءة.

2-تأثر اللسانيات العربية بالمناهج الغربية:

التأثر باللسانيات الغربية جلي لا شك فيه، و لا نعاتب المتأثرين بهذه الثورة المعرفية العظيمة؛ لأن الحراك العلمي لا يخلو من التأثير و التأثر و دراسة اللغات كما تعلمون لا يتطلب منهاجا واحدا بعينه نظرا لاختلافها و تنوع خصائصها، و التجارب التي جاءت في هذا كثيرة، و ما يثير الاهتمام

¹ - شوقي بوجلال، الترجمة في العالم العربي الواقع و التحدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص 214.

² - المرجع نفسه، ص 54.

³ - حافظ إسماعيلي علوي ، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، ص 151.

هو ذلك التأثير الإيجابي الذي حصل في مجال اللغة حيث تأثر المتخصصون بمناهج ذات قيمة كبيرة في دراسة اللغة البشرية.

الواضح للعيان أن الدراسات اللغوية العربية التي تناولت اللغة العربية بالدراسة و البحث في بدايتها كانت موفقة في تبني المنهج الوصفي الذي نال نصيبا وافرا من النظريات اللسانية الغربية لكن أشهر ما طُبق على اللغة العربية من النظريات هي النظرية التوليدية التحويلية التي اقتربت كثيرا من المناهج اللغوية في التراث العربي، و يمكننا أن نشير هنا أن هناك من لم يطبق منها كاملا بعينه مثل محمود السعمران الذي يقول: " و أنا لم ألتزم في جملة ما عرضت مذهبا بعينه في كل أصوله و فروعه من هذا الدرس اللغوي المتعددة، بل ركنت إلى التعريف بالأصول العامة التي ارتضيته، و التي قل أن يختلف فيها أهل هذا العلم مع بيان مصادرها، و مذاهب أصحابها في معظم الأحوال مع الإشارة في الوقت نفسه إلى الآراء المخالفة الصادرة عن مذاهب أخرى حتى يكون القارئ على بينة من المذاهب اللغوية المختلفة، و على دراية بالفلسفات التي قامت عليه."¹

لم تكن هذه المبادرة الأولى لدراسة اللغة العربية بما يتناسب مع خصائصها؛ فقد انكب تمام حسان في مجال اللسانيات العربية على دراسة اللغة وفق المذهب الوصفي و هذا ما أدلى به في مصنفه المشهور مناهج البحث اللغوي و يقول في ذلك: " فقد جاء ذلك الكتاب في حينه ليقدم للقارئ العربي ما اصطنعه الغربيون من منهج وصفي، و ليعرض هذا المنهج عرضا مفصلا آخذا أمثله ووسائل إيضاحه من الفصحى حينا و من العاميات حينا و من لغات أجنبية حينا ثالثا، فلم يكن بحثا خالصا للفصحى بقدر ما كان عرضا للمنهج الوصفي"² و هي إشارة صريحة للتأثر بالغرب.

المتأمل في الكتابات العربية يدرك أن الاشتغال في مجال كاللسانيات ليس هينا أو بسيطا و من الضروري العمل وفق إجراءات البحث العلمي الذي ينطلق من الموضوعية و هذا ما فعله أحمد المتوكل الذي خاض غمار تجربة علمية جديدة؛ إنها اللسانيات الوظيفية و لهذا العلم وقع كبير لدى الغرب و لهذا سعى الرجل جاهدا على النهل منه بما يتوافق مع اللغة العربية و قدرة القارئ العربي في مجال اللسانيات متأثرا فيه بالعالم الفذ "فان ديك" معتمدا في ذلك على التراث يقول: " و في مجال التنظير اللساني يستهدف اللساني وضع نموذجا للمعرفة اللغوية -بها- يسعى المنظرون في إقامة

¹ - محمود السعمران، علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997، ص 317.

² - تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص 7.

نموذج لقدرة مستعملي اللغة الطبيعية على التواصل بواسطة اللغة فهو- نموذج يمثل للملكات اللغوية، و غير اللغوية المساهمة في عملية التواصل إنتاجا و فهما.¹

و الواقع أن المساهمات في تفسير اللسانيات الغربية كانت كثيرة في الوطن العربي والتحليلات هي الأخرى كانت مستفيضة و في جميع المستويات اللغوية يقول إبراهيم أنيس: "و إزاء هذه النهضة المباركة في بلادنا أشعر بالغبطة و السرور لأن كتابي (الأصوات اللغوية) كان أول كتاب يؤلف باللغة العربية في هذه الدراسة، و ظهر لأول مرة منذ أكثر من ربع قرن...و كتابي هذا و إن كان الأول من نوعه في اللغة العربية، لا أدعي له الكمال في كل نواحيه، و إنما أعده مجهودا متواضعا أبني به نشر طرف من هذه الثقافة اللغوية بين من يعنون بالبحث اللغوي في مصر راجيا أن ينتفع به طلاب الجامعات المصرية و المعاهد العالية في دراستهم اللغوية."²

تلك الثقافة التي تحدث عنها إبراهيم أنيس هي الثقافة اللسانية الغربية و يعني هذا ضمنا أنه قد تأثر هو الآخر باللسانيات الغربية التي كادت تغزو الثقافة العربية الحديثة لولا بعض الجهود الأصلية التي اعتمد فيها أصحابها على التراث العربي الأصيل و نقصد بذلك الاعتماد على كتابات الخليل وسيبويه و أمثالهم من العلماء العرب القدامى، و حتى لا نظلم الرجل فإنه وصف أصوات اللغة العربية من خلال ما ذهب إليه سيبويه فقد عبر عن الصوامت بالحرف أو الصوت الساكن، و نوه في مقدمة كتابه- الذي ذكرناه آنفا- إلا الانفتاح الذي عرفته الثقافة العربية على الثقافة الغربية، واعتبرت الدراسة التي قدمها أقرب إلى الفونولوجي منها إلى الفونيتيك.³

خلاصة القول أن اللسانيات العربية ارتبطت في نشأتها الحديثة بالدراسات اللغوية الغربية التي شهدت أوروبا في مطلع القرن العشرين و الجهود التي قدمت من قبل الباحثين و العلماء ذات بال وهامة و أغلب الظن أنها لم تترك مستوى لغوي في اللغة الغربية إلا و مسته، و سنحاول أن نعطي بعض النماذج التي تم التأثير بها في اللسانيات الغربية.

3-البحوث اللسانية العربية بين التأثير و التأثير:

أكثر المباحث اللغوية التي تأثرت باللسانيات الغربية هي المبحث الصوتي نظرا لدقته و تطور الوسائل التي تعالج ظواهره، لكن المستويات الأخرى بدورها نالت نصيبا من الاهتمام مثل النحو الذي

¹ - أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية قضايا و مقاربات، مكتبة دار الأمان، الرباط، ط1، 2005، ص 49.

² - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، ص5-6.

³ - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص32-35.

نادى بعض العرب بتجديده و تيسيره و هناك من درسه على ضوء ما جاءت به اللسانيات الغربية وفي هذا يقول أشهر الباحثين في اللسانيات العربية نهاد موسى: "إن درس العربية من الجانب العربي وحده يظل منقوصا، و أنه لابد في هذه المرحلة من استئناف النظر أن نتبصر فيما بلغه الدرس اللغوي الحديث من آفاق، لأنه يسعف في تجديد إحساسنا بالنحو العربي في مفهوماته ومنطقاته، و أبعاده بعد طول إلف به في لغته الخاصة، و مصطلحه الخاص، و منهجه الداخلي".¹ و الأمر ليس متعلقا بالنحو وحده أو حصرا على الصوت اللغوي فقد درست مباحث عديدة على ضوء ما جاء به الغرب من نظريات يقول تمام حسان: "و الغاية التي أسعى و آراءها بهذا البحث أن ألقى ضوءا جديدا كاشفا على التراث اللغوي العربي كله منبعثا من المنهج الوصفي في دراسة اللغة"،² و هي الصورة المتداولة في البحوث العربية التي لم تتخلص بعد من التأثير باللسانيات الغربية.

لقد تأثر العرب بمقولات الغرب في نقاط متفرعة و عديدة منها ما تألف مع البحوث الوافدة مائة بالمائة و منها ما تراوح بين القديم و الحديث، و الحقيقة أن عدم الاستثمار في الدراسات الغربية الحديثة و المعاصرة مجازفة و أن النأي عن الدراسات التراثية و إغفالها هو إهدار للوقت و الجهد العربي و بين هذا و ذاك لابد من إزاحة كل العقبات التي تقف أمام تقد اللسانيات العربية في شكلها الجديد، و علينا أن ندفع بالبحث اللساني في اللغة العربية قدما نحو المعرفة و العلم.

و لا يفوتنا ههنا أن ننوه ببعض الأسباب التي جعلت الدارسين يهرعون إلى تدارس اللسانيات الغربية، بعيدا عن التشبث بالتراث و الدعوة إلى تأصيل البحوث اللغوية هي فكرة العدول عن التراث بدعوى عدم جدواه اليوم و تغير المفاهيم حتى أن بعضهم رأى أن: "اللجوء إلى الماضي يمنع من فهم إنجازات العصر، و التشبث بالتراث يعد استلابا حقيقيا لأنه عدول عن قوة الإنسان و حريته لفائدة الماضي الغابر، نخضع لما كانوا يعيدون و نطرب لما كانوا يطربون، و نعتقد كما يعتقدون"،³ و من خلال هذا المذهب الفكري الغريب الذي استهجنه نظرا لبعده و حياده عن الصواب لأن التراث العربي بما فيه من دراسات يعد أثرى و أغنى من حيث الدقة و العلمية و ليست الشهادة من لدنا بل

¹ - حسن سعيد الملخ، نظرية التهليل في النحو العربي بين القدماء و المحدثين، دار الشروق، الأردن، 2000، ص 242.

² - تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص 10.

³ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، دراسات نقدية في المصادر و الأسس النظرية و المنهجية، سلسلة رسائل و أطروحات، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1998، ص 133.

هي آراء و شهادات لكبار علماء اللسانيات الغربية و الأمثلة كثيرة منها العلم الأمريكي والقامة الفذة
نوام تشومسكي الذي حينما سُؤل عن اطلاعه على التراث العربية أعرب عن أسفه عن عدم تضلعه
في اللغة العربية.



المحاضرة الثامنة

اللسانيات التمهيدية و اللسانيات المتخصصة

تمهيد:

أثبتت الدراسات المعاصرة أن القراءات الأولية للسانيات التي ظهرت عند الغرب قد أفرزت العديد من التصورات في الوطن العربي و أصبح المشهد من حيث المنهج و الأدوات يحتاج إلى الضبط و إعادة النظر حتى لا تأخذ الدراسات اللسانية مسارات متباينة يروم الباحثون تغيير تلك الصورة التي تعبر عن الفوضى المفاهيمية و تقديم الخطوط العريضة لهذا الوافد الجديد.

1- مفهوم اللسانيات التمهيدية:

نتيجة لجدة الدراسات اللسانية في مجال اللغة فقد كان لزاما علينا في هذا المقام البحث عن اللسانيات التمهيدية نظرا لما تقدمه: " النظريات اللسانية الحديثة من مبادئ جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامة و مناهج تحليل اللغات الخاصة، و تروم الكتابة التمهيدية تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية و المنهجية بشكل مبسط قصد تيسير المعرفة اللسانية للقارئ العربي و تقريبها منه.¹

تأتي اللسانيات التمهيدية بمقابل اللسانيات التراثية حيث تمتلك تصورات خاصة تختلف قليلا أو كثيرا عن اللسانيات الحديثة و من ثمة كانت البدايات الأولى للسانيات في الوطن العربي محتشمة وضيقة المجال: " و لعل أولى حسنات هذا الرصد النظري و المنهجي أنه يجعل القارئ العربي يعانق واقع اللغوي في علاقته باللسانيات الحديثة التي أثرت مجالات فكرية عربية أدبية و فلسفية و نقدية منذ مطلع الستينيات من القرن الماضي، وثاني الإيجابيات أنها تسهم تاريخيا في التعريف بمجهود العديد من اللغويين العرب المحدثين بعيدا عن مواقع النفوذ في رحاب مراكز البحث و التدريس.²

2- الكتابات اللسانية التمهيدية:

شغلت اللسانيات التمهيدية في الوطن العربي حيزا لا بأس به من خلال ما يسمى بالكتابة التمهيدية و هي: " طريقة في التأليف لا يمكن لأي علم أن يذيع و ينتشر بدونها؛ لذلك من الطبيعي

¹ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية: أسئلة المنهج، ص 62.

² - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالياته، ص 7.

أن يشكل هذا النوع من التأليف أحد الاهتمامات الأساسية لنشر العلوم و تقريبها إلى القراء،¹ إن الرغبة الشديدة في الانفتاح على الغرب و العلوم الجديدة كان أمراً طبيعياً والعناية باللغة شيء محمود لكن عواقب النقل دون إمعان النظر فيما يُنقل هو المشكلة الحقيقية التي نواجهها اليوم، وعليه فإن إثارة قضايا و إشكاليات الكتابة اللسانية التمهيدية أمر واجب.

3- إشكاليات الكتابة اللسانية التمهيدية:

تشير الدراسات إلى أن الكتابة اللسانية العربية تعاني في ظل الغياب التام لدراسات جادة في مجال اللغة و المتتبع للمسار الذي خطته الكتابة التمهيدية يدرك جيداً أن البيئة التي نشأت فيها اللسانيات الغربية هي مختلفة تماماً عن البيئة العربية التي نُقلت إليها؛ و بالنظر إلى الاتجاهات المتعددة في الكتابة اللسانية فإن المحاولات الكثيرة لإعادة البريق و اللمعان للدرس العربي بات يشكل صعوبات جمة على القارئ المبتدئ نذكر منها:²

- استحالة القيام بتصنيف تام لانعدام جرد شامل لكل ما كتب في الدرس اللساني العربي الحديث.
- عدم استقرار الكتابات اللسانية العربية على خط نظري واحد، فقد يعرض اللساني العربي بالدرس والتحليل لقضية معينة من وجهة لسانية يتبع فيها أحدث النظريات اللسانية، لكنه سرعان ما يتبنى في قضية أخرى موقفاً تقليدياً يعيد فيه ما قاله القدماء و ربما بكيفية أقل توفيقاً، و قد يحصل الانتقال من موقف نظري إلى آخر داخل الخطاب الواحد.

و من أجل تذليل صعوبات الكتابة اللسانية التمهيدية فإننا نرى ضرورة مراعاة كل التيارات اللسانية و محاولة الوقوف إلى جانبها من خلال المرافقة و الاحتكام لشروط الثقافة العربية بما يتوافق مع اللغة العربية و ليس التطبيق الأعمى للنظريات الغربية الأمر الذي ينعكس سلباً على القارئ العربي.

أبواب الاجتهاد مفتوحة على مصراعيها و نحتاجه نحن اليوم هو الاجتهاد الفعال الذي يخرج اللسانيات العربية من سباتها و ينهض بها؛ فهي بأمس الحاجة للإثراء و الواقع أن هناك دوافع تحفز للكتابة في اللسانيات التمهيدية منها:³

¹ - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالياته، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ط1، 2009، ص99.

² - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية: أسئلة المنهج، ص56.

³ - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالياته، ص12.

-الرغبة في الانفتاح على اتجاهات البحث اللساني، و تعرف أهم منطلقاتها و أهدافها، والابتعاد عن التخصص الضيق الذي يجعل الباحث متقيدا باتجاه بعينه متحررا من الاتجاهات الأخرى التي لا يربطه بها إلا صراعات مفتعلة اشتدت بين العديد من اللسانيين العرب.

-الحرص على معرفة قضايا ذات صلة بالبحث اللساني، فالثقافة العربية كما هو معروف نسيج متشابك من القضايا التي يصعب الفصل بينها؛ و لذلك يتعين لفهم الواقع اللساني العربي، بل وتغييره، ربطه بقضايا تاريخية و فكرية و حضارية و نفسية انصهرت في بوتقة واحدة لتفرز واقعا يشكل صورة عن الواقع الحالي لبنية الفكر العربي.

-غياب مقاربات تؤرخ للبحث اللساني العربي بالكشف، من جهة، عن ملاسبات التلقي المتصلة بكل مرحلة من مراحل تطور الفكر اللساني في الغرب، و من جهة أخرى، بكيفية استثمارها في الثقافة العربية.

-إشارات بعض اللسانيين العرب إلى غياب بحوث تُعنى بقضايا تلقي اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة.

-الحاجة إلى إدراك و فهم و تفسير القضايا و الإشكالات التي تحد من تقدم البحث اللساني العربي و من وتيرة نموه لأجل تجاوزها و اجترح حلول علمية لها.

4-تلقي الكتابة اللسانية التمهيدية:

تظهر الكتب اللسانية التمهيدية أن الغاية منها هو تبسيط المعارف اللغوية الحديثة للقراء العرب؛ ذلك أن "متلقي الكتابة اللسانية التمهيدية قارئ مبتدئ غايته التعرف إلى مبادئ اللسانيات باعتبارها علما جديدا، لذلك يجب على من يؤلف في هذا اللون من الكتابة أن يختار ما يراه مناسبا لجلب القارئ، و إثارة انتباهه، و إغرائه بعبارات محبوبة توجي إلى التبسيط و التسهيل، و تروم الانتفاع، لخلق نوع من التفاعل و الانسجام بين النص والقارئ."¹

ما يميز الكتابة اللسانية التمهيدية هو أخذ المتلقي بعين الاعتبار إن تلميحا و إن تصريحاً وهي غاية كل مؤلف تمهيدي و لهذا ترمي الكتابات اللسانية إلى تيسير محتوى النصوص و: "تشير هذه النصوص المقترضة من مقدمات بعض الكتابات اللسانية التمهيدية، إلى الوظيفة التعليمية التبسيطية باعتبارها وظيفة غايتها تقديم اللسانيات إلى القارئ المبتدئ، بالتركيز على مفاهيم غايتها الإثارة والإغراء و جلب المتلقي كما يظهر من خلال هذه العبارات: الجدوى التعليمية...، الإبلاغ

¹ - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالياته، ص 104.

التعليمي... تهيئة (القارئ)... تقرب حقائقه (علم اللسان)... توطئة تساعده (المتلقي)... تهيئته لتتبع... تقرب حقائقه... توضح أهم أهدافها (اللسانيات)... تعريف الدارس المبتدئ...¹ على النهج تسير اللسانيات المتخصصة حيث توحى المعطيات السابقة أن القارئ النهم لا يبقى حبيس القراءات اللسانية التمهيدية بل يصبو إلى النهل من الدراسات المتخصصة بكل اتجاهاتها وتخصصاتها و هذا ينبأ عن إلحاح المبتدئ على مواصلة المشوار الذي بدأه مع الكتابات البسيطة التعليمية إلى الكتابات المعقدة في أبعادها الفلسفية والإيديولوجية.

2- مفهوم اللسانيات المتخصصة:

لا يعتقد القارئ لللسانيات التمهيدية أنها الكتابات الوحيدة في مجال اللسانيات؛ لأن هناك ما يسمى باللسانيات المتخصصة و هي ميدان ثري بمصطلحاته و مفاهيمه الدقيقة، و أكثر من ذلك فإننا نجد التحليل و التطبيق من أهم مبادئه و لهذا قال مصطفى غلفان أن ما تم: "اقتراحه من مفاهيم في اللسانيات البنوية و اللسانيات التوليدية مثل: التقطيع و التوزيع والاستبدال و التعاقب والتحليل إلى المكونات المباشرة و البنية العميقة و البنية السطحية والتحويلات و ما إلى ذلك من مفاهيم جوهرية في اللسانيات الحديثة، فإننا لا نرى ما يمنع من تطبيقها على اللسان العربي أو أي لسان آخر خارج نطاق الألسن الأوروبية المعروفة مثل: الإنجليزية و الفرنسية و الألمانية والإسبانية."²

عالج المتخصصون في اللسانيات العربية العديد من القضايا الجوهرية في اللغة العربية تنظيراً و تطبيقاً و لا أدل على ذلك مما جاء في كتابات تمام حسان و عبد الرحمان الحاج صالح و فاسي الفهري و محمود السعران و القائمة طويلة حيث عمد هؤلاء إلى إرساء الأسس الهامة في تحليل اللغة لكن كل حسب وجهته و مذهبه دون تجاوز حدود اللغة العربية وخصائصها التي تختلف إلى حد ما مع اللغات الأخرى.

و المتفحص لما ورد في اللسانيات العربية يجد أن آليات التحليل المنتهجة- بغض النظر عن مرجعياتها- عبارة عن نماذج متباينة و أنها إما امتداد للتراث العربي الأصيل أو استثمار للفكر الغربي الحديث، و هو أمر طبيعي لكننا: "نحن العرب لم نبتكر حتى اليوم نظريات لسانية خاصة

¹ - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالياته، المرجع السابق، ص 108-109.

² - المرجع نفسه، ص 29.

² - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية: أسئلة المنهج، ص 64.

باللغة العربية و لا نظريات عامة تتعلق باللغة البشرية، على الرغم من الطموحات الفكرية المبالغ فيها، و أحيانا الادعاءات المجانية التي ما فتىء بعض رواد لسانيات التراث يقدمونها لتبرير غاياتهم من إعادة قراءة الموروث اللغوي العربي، هكذا يقوا أحد الدارسين مدعيا أن الإضافة الحقيقية التي ينبغي تقديمها لهذا التراث هي إعادة قراءته و تقديمه على النحو المناسب للسياق العلمي الراهن، إذ تمثل النظريات اللغوية المعاصرة تحديا غير بسيط لتراثنا اللغوي يستلزم أن نراجع استكشافا لنظرياته التي لم تحظ بالبلورة و وقفا على طرقه المختلفة في معالجة المشكلات اللغوية التي تعالجها النظريات اللغوية الغربية المعاصرة.¹

و من هذا المنطلق بات من الضروري رصد الاتجاهات المختلفة في اللسانيات العربية مع ما يتبعها من اختلاف لطرق التحليل اللغوي من مذهب إلى آخر و نعتقد أن هذا التباين الحاصل بين المدارس اللسانية العربية -إن صح التعبير- هو من باب الإثراء لا من باب التعقيد على القارئ العربي الذي قد يرتبك في بعض الأحيان أثناء قراءته لبعض التحليلات على اللغة العربية و لا يجدها تتطابق مع طبيعتها فيكتفي بإلقاء نظرة على ما جاء في الكتاب دون فهم أو إدراك لمحتواه خاصة طلاب الدراسات العليا في الجامعة.

2-مناهج اللسانيات المتخصصة:

مهما كانت قيمة الكتابات اللسانية المتخصصة فإن الوسم الذي يطبعها هو العلمية في تبني المناهج، و الواقع أن هذه المناهج هي التي تضبط طرق التحليل في اللسانيات العربية و سنحاول ذكرها فيما يلي:

2-1- المنهج الوصفي:

لا غرو أن المنهج الوصفي هو أول المناهج التي ظهرت في اللسانيات و هو الذي قامت عليه الدراسات الميدانية في اللسانيات التطبيقية و هو عبارة عن مذهب ينتمي إلى الاتجاه البنوي القائم على مفهوم البنية التي درست من خلاله اللغة بوصفها نظاما مغلقا و قد برزت الكثير من الأقلام العربية في هذا المنهج حيث تفرغ لها غير قليل من اللسانيين منهم تمام حسان و محمود السعران وتمام حسان و إبراهيم أنيس و كمال بشر؛ فكانت كتاباتهم مليئة بالحمولات اللسانية الغربية حيث درسوا اللغة العربية في جميع مستوياتها الصوتية الإفرادية و التركيبية و الدالية.

¹ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية: أسئلة المنهج، ص 217.

2-2- المنهج التوليدي:

عُرف المنهج التوليدي بصرامته في الدراسة اللغوية حيث لم يكتف بالوصف بل انتقل إلى التفسير، و قد تنوعت التحليلات في هذا المنهج عند الغرب و كذلك هي عند العرب والأمثلة في هذا المجال عديدة حيث لمعت الكثير من الأسماء في استخدام التوليد و التحويل و من أشهر هذه الأسماء نذكر مازن الوعر و ميشال زكريا و محمد غاليم وفاسي الفهري وغيرهم كثير؛ لقد اعتنى هؤلاء بدراسة الثنائيات المعروفة في المنهج التوليدي التحويلي عناية شديدة و الأكيد هو أن المنهج الذي اتبعه انصار تشومسكي كان مرتبطا بما يسمى بالنحو الكلي ما ويدور في فلكه.

2-3- المنهج الوظيفي:

تعمدنا الحديث عن المنهج الوظيفي؛ لأنه يتقاطع مع العديد من المناهج و الاتجاهات و أهم ما يرمي إليه هو البحث عن وظائف اللغة و لذلك كان من الممتع البحث فيه، و أشهر من تخصص في هذا المجال هو أحمد المتوكل و لأن أهم وظيفة هي الوظيفة التواصلية فقد برع في تحقيق التحليل الوظيفي كل من البويشخي و محمد مفتاح وعليه أصبح الخطاب هو مدار التحليل و أهم مرتكز يرتكز عليه التواصل و هو الأمر الذي يتقاطع فيه مع المنهج التداولي.

2-4- المنهج التداولي:

ربما يعترض بعض المشككين في انتماء الدرس التداولي إلى مجال اللسانيات لكن في اعتقادنا أن هذا المنهج هو من صلب الدراسة اللسانية فالتحليل التداولي يبحث في ثنائيات اللغة المضمر، أو ليست الافتراضات المسبقة من صميم اللغة، أو ليس الإقناع في الخطاب من إنتاج العقل، الحقيقة هي أن التداولية جزء لا يتجزء من اللغة و الفكر و أشهر من تحدث عنها هم الفلاسفة و أشهرهم في الوطن العربي هو المغربي طه عبد الرحمان صاحب التكوثر العقلي و هو أكثر من برع في الحديث عن المنهج التداولي.

المحاضرة التاسعة

البحوث اللسانية العربية الحديثة

تمهيد:

لقد استوجب منا الاشتغال على موضوع اللسانيات العربية الاطلاع على البحوث اللسانية العربية الحديثة التي يمكن تصنيفها حسب المناهج التي تتبعها و هي لا تخلو من الطرافة والجدة في تناول الظاهرة اللغوية التي أتى على تحليل أنحائها جملة من العلماء و اللسانيين العرب و هذا في جميع مستوياتها و حتى نتمكن من معالجة جل ما جاء فيها سنحاول التطرق إلى كل التيارات اللغوية بإلمام و دون تحيز أو غلو.

1-البحوث اللسانية في الوطن العربي:

إنه لمن الصعب الحديث عن البحوث اللسانية العربية دون العودة إلى العلماء وجهابذة اللسانيات في الوطن العربي، فهم الأساس في نشر المعرفة اللسانية باللغة العربية؛ و المهمة التي علينا أن نتوكل عليها هي مهمة إيداع و نشر الدراسات الجديدة ذات الثقافة العربية دون استبعاد ما جاءت به العلوم اللسانية عند الغرب، و الملفت للنظر هو تنوع تلكم البحوث التي كان لها صدى في الداخل و الخارج؛ لا سيما ما كان فيها أصحابها محافظين على الخصوصية العربية و النهل من اللسانيات الغربية دون الذوبان فيها؛ و من هذا المنطلق سنحاول تزويد القارئ العربي بأهم التيارات والمناهج التي تميزت بها البحوث اللسانية العربية في المشرق و المغرب.

1-1-البحوث اللسانية في المشرق العربي:

إن غايتنا من عرض البحوث اللسانية العربية هو التعرف على المناهج التي أرساها اللسانيون العرب؛ لأننا بحاجة ماسة إلى تأسيس لسانيات عربية لا تدور في حلقة بين القديم والحديث أو الغربي و العربي، فنحن نرمي إلى إيجاد طرق للم الشتات الحاصل في الدراسات اللسانية المكتوبة والمنشورة باللغة العربية، و الأمر ليس ببعيد لأننا نؤمن بأن الأقلام العربية لم تجف و أن الأمل لا ينقطع مادام العلم باللغة و اللسانيات قد استشرى في البلاد العربية، ولم تعد المكتبات العربية فارغة مثلما كانت عليه من قبل؛ لأن جل البلدان العربية كانت تحت نير الاستعمار.

بينت العديد من الدراسات المشرقية صدقها و وفائها للمنهج الوصفي الذي ظهر عند الغرب في أوائل القرن العشرين، و هو منهج يقوم على وصف الظاهرة اللغوية بعيدا عن الأحكام الخارجية و تغيراتها التي هي في الأصل من صميم الدراسات اللسانية التاريخية التي كانت دراساتها مجرد

افتراضات غير علمية، و لبلورة منهج علمي أصيل في البحوث اللسانية العربية رفع اللساني الشهير عبد الواحد وافي التحدي و كتب مؤلفا موسوما ب: "علم اللغة" والمراد به اللسانيات حيث كانت هذه هي البدايات الأولى لانتشار الأفكار البنوية التي جاء بها دي سوسير و تلاميذه الذين نشروا محاضراته.

كان من العسير في بداية انتشار المنهج الوصفي تبين قابلية تطبيقه بحذافره على اللغة العربية ولكن مع ذلك حاول اللسانيون العرب في المشرق العربي أن ينهلوا منه قدر المستطاع و قد: "عرف الاتجاه الوصفي طريقه إلى الثقافة العربية بعدما شرع العديد من أفراد البعثات الطلابية إلى الجامعات الأوروبية في العودة إلى أوطانهم، و قد كان من بين العائدين من تخصصوا في اللسانيات أو في أحد فروعها، و من تتلمذوا، خصوصا على يد فيرث (Firth) في مدرسة لندن، فبعد عودة هؤلاء تصدوا للتدريس و البحث اللغوي في الجامعات المصرية التي كانت بذلك منطلقا لبلورة الاتجاه الوصفي في الثقافة العربية، بعدما كانت مهد المنهج التاريخي-المقارن من قبل- و بذلك استمرت بحمل لواء التجديد اللغوي في الثقافة العربية".¹

إن الأفكار العربية التي انتشرت في بداية تأسيس اللسانيات الغربية كانت تمهيدا لظهور لسانيات عربية، لكن لم يكن الأمر سهلا مطلقا؛ لأن هذا العلم في حد ذاته كان جديدا عند الغرب وقد ظل الوضع على ما هو عليه وقتا طويلا إلى أن استقر بعد أن كرس العلماء كل طاقاتهم لقراءة المناهج اللسانية و إعادة بنائها على ضوء اللغة العربية، و الواقع أن هذا التأخر في انتشار الأفكار الجديدة في نهاية الأربعينيات من القرن العشرين ذلك بسبب أنها كانت: "حكرا على الاتجاه التاريخي- المقارن، على الرغم من ظهور إرهابات المنهج الوصفي في الثقافة العربية، و لم تنقش هذه الرؤية السائدة إلا بعدما شرع بعض أفراد البعثات الطلابية في العودة إلى بلادهم، كما ذكرنا، ويؤرخ لهذه البداية بعودة إبراهيم أنيس (1906-1976م)، و قد ساد هذا الاتجاه و ترسخ في الثقافة العربية بفضل الجهود التي أعقبت إبراهيم أنيس، و التي عرفت أبرز تجلياتها في جهود تلامذته، وجهود بعض العائدين الجدد من المدرسة نفسها التي تخرج منها، و كان من أبرز هؤلاء عبد الرحمان أيوب، و تمام حسان، وكمال بشر، و محمود السعران".²

¹- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي و إشكالياته، ص 42.

²- المرجع نفسه، ص 44.

كانت الساحة اللسانية العربية امتدادا للسانيات الغربية رغم دعوات إحياء اللسانيات التراثية هنا وهناك من أمثال القائلين بحتمية تطبيق المناهج الغربية على اللغة العربية وهو في نظر بعضهم مغامرة: "إن العربية، مع ما وصل إلينا من دراسات في اللسان العربي، وقوامة هذه الدراسات، وإيفائها بما يحتاجه البحث المعاصر من معرفة، وفهم، وإدراك لما كانت عليه، و ما آلت إليه الدراسة اللغوية الحديثة-و لا سيما الأوروبية- ينبغي لها أن تكون بمنأى عن أن يقحمها الباحثون العرب في تلك المآزق و المجاهل التي لا تخرج منها إلا بتناحرات و تناقضات مذهبية، ليست العربية بحاجة إليها، و لا هي بماتة بصلة إليها، فكيان العربية و شخصيتها، و أصولها و ضوابطها، و نصوصها الأصلية و آثارها الواصلة إلينا، قد اكتسبت درجة الاكتفاء الذاتي، و حملت معها عناصر بقائها وديمومتها و استمرار قوتها، و سر حيويتها وحركتها و إنعاشها، بقاء كتاب الله العزيز، و بهذا التراث العظيم الواصل إلى أبنائها مدونا ومحفوظا و مدروسا، مكونا زادا ثرا و معينا لا ينضب، يستمد منه أبنتنا ما هم بحاجة إليه من التغذية و النوعية و التثقيف".¹

وعلى الرغم من المساجلات التي دارت بخصوص اللسانيات العربية و الممارسات العلمية المنهجية فإن هذه الدعوات لاقت آذانا صاغية في بعض البلدان العربية و الدليل على ذلك هي النظريات و الدراسات اللسانية الجديدة التي ظهرت و التي تذهب بكليتها أو ببعض أجزائها إلى البحث التراثي حيث كان الإلحاح شديدا من أجل العودة إليه في ظل انغماس بعض اللسانيين في المذاهب الغربية رغم المآلات التي ستصل إليها اللغة العربية.

إن الاهتمام بشأن اللسانيات العربية هو اهتمام باللغة العربية؛ لأن تبعات الميل بالدراسة اللغوية إلى الغرب ليس محمودا في رأينا إذا كان من غير تمحيص و في هذا يقول أحدهم: "و لعلي لا أبالغ إذا قلت: أن ثمة غلوا محمودا ينهد به نقر من المغرمين بالبحث الألسني الأوروبي في هذا القرن، يهدف إلى الانصراف عن البحث العربي الأصل إلى الألسنية الحديثة، و لا سيما المعنيين بالعربية، ممن تعلموا شيئا عند الغربيين، أو اطلعوا على ما جاءت به الترجمات من كتب البحث اللساني في فرنسا و غيرها من أقطار أوربا بعد سوسير (1913م) و هو بحث مقم على العربية، بعيد عن أنفاسها و خصائصها، و إدخال أهلها في ميدان غير مناسب لها، و لا متلائم مع طبيعتها، في الوقت الذي كانت الدراسات العربية الأصلية قد آتت أكلها، و خدمت الحرف العربي خدمة لا

¹ - رشيد عبد الرحمان العبيدي، الألسنية المعاصرة و العربية، مجلة الذخائر، العدد1، ج1، 1420هـ-2000م، ص25.

مثيل لها، و أبرزت خصائص هذه اللغة إبرازا متكاملًا، لا يحتاج معه أبنائها إلى مزيد من المداخلات و التعقيدات التي يتسم بها البحث الأوربي الحديث.

إن التراث العربي كان الملهم لبعض اللسانيين الذين اكتشفوا أن المناهج التي توصل إليها الغرب قريبة مما هو عند العرب تمامًا مثل تمام حسان الذي يعتقد أن الاتجاه البنوي: " يرى اللغة بنية منظمة متكاملة، فيعنى بتصريف الكلمات وصلاتها الاشتقاقية و صورها الاسنادية و الإلصاقية، من حيث الفصل و الوصل، مع إبراز الطابع العضوي لأنماط اللغة distribution، و ما يترتب على ذلك من الاعتماد على فكرة المعاقبة substitution في الموقع المعين، ثم الربط بين الصورة والوظيفة التي تؤديها الصورة في النظام (...) و لكن النحو العربي عرف هذا الاتجاه كذلك وبخاصة في الدراسة الصرفية للصيغ و علاقاتها و تصريفاتها و المتصل و المنفصل من الضمائر و نسبة المعاني (الوظيفية) إلى الصيغ المجردة حتى قبل أن تصاغ الكلمات على نمطها".¹

إن البحوث اللسانية العربية الحديثة في المشرق كانت ثرية و غنية بالأفكار التي يشدها القارئ لا سيما القارئ العربي الذي تلقى ما كُتب في اللسانيات باللغة العربية بالكثير من التمحيص و هذا وعيا منه بأن الثقافة العربية ليست وعاءً للفكر الغربي بقدر ما هي امتداد للفكر العربي الذي لا يبتعد في جوهره عما جاء به الغرب من نظريات و مناهج و اتجاهات لسانية، و الحق يقال أن نشأة اللسانيات -مثما أدرك بعض العلماء و اللسانيين العرب أنه- نشأ عند العرب قبل أن ينضج عند الغرب و الأدلة كثيرة على ذلك.

1-2- البحوث اللسانية في المغرب العربي:

لا يمكن أن نُفوت فرصة الحديث عن البحوث اللسانية العربية التي أثرت المكتبات العربية في المغرب العربي و هي كثيرة حيث خُصص حيز منها إلى اللسانيات و آخر لفروعها الأربعة المعروفة: الصوتيات و علم المفردات و علم التراكيب و علم الدلالة غير أن الدراسات التركيبية غدت أبرز وسم طبع البحث اللغوي و في هذا يقول المهيري: " المبادئ الملتزمة في علم اللغة الحديث ... تتخذ الجملة أساس كل دراسة نحوية، و أن تكون بداية كل وصف لغوي و نهايته".²

¹ - تمام حسان، تعليم النحو بين النظرية و التطبيق، مجلة المناهل، الرباط، ع7، 1396هـ-1976م، ص 113.

² - عبد القادر المهيري نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، ص 31.

³ - أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، دار الأمان، الرباط، ط1، 1437هـ-2016م، ص 27.

إن ما يقع في أذهان الكثيرين ممن يشتغل في مجالات اللسانيات العربية هو أهمية تجسيد المشاريع اللسانية العربية التي جاء بها أصحابها أمثال الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح الذي سمى مشروعه بالذخيرة اللغوية و أسس نظرية جديدة ضمنها أفكار الخليل بن أحمد الفراهيدي، والأمثلة كثيرة في المغرب العربي فهذا أحمد المتوكل قد حفر اسمه في مجال اللسانيات العربية من خلال أبحاثه التي جاءت في المنهج الوظيفي حيث ضمنها مجموعة: "من الأطروحات الهامة الكبرى التي دافعت عنها اللسانيات التوليدية التحويلية وجود و مشروعية "نحو كلي" يمثل للملكة اللسانية العامة، و قد اختلف فحوى هذه النحو الكلي و اختلفت وسائل ربطه بالأنحاء "الخاصة" باختلاف النماذج التي أفرزتها النظرية التوليدية التحويلية على مر الأحقاب، من "النموذج المعياري" إلى نموذج "البرنامج الأدنوي"... ظلت البحوث ذات التوجه الوظيفي في منأى شبه تام عن هذا النقاش و نذر فيها الحديث-إن لم نقل انعدم- عن النحو الكلي حتى ساد الاعتقاد بأن هذا المفهوم غير وارد أو مناف للبحث الوظيفي.¹

و بهذا يكون أحمد المتوكل قد تميز بدراساته التي أفاد منها الباحثون لا في مجال المنهج الوظيفي و حسب بل في مجال الدراسات التداولية المعاصرة أيضا -و هذا ناذرا ما يحصل- و إن دل هذا فإنما يدل على نباهة هذا الرجل العبقري في ميدان اللسانيات العربية الحديثة، و ما يغري في توجهات المتوكل هو التوفيق بين ما جاء به سيمون ديك و ما ورد في التراث العربي الأصيل و يرى أن التباين يكمن: "بين الفكر اللغوي القديم (عربيا كان أم غير عربي)، و الدرس اللساني الحديث في اختلاف الظروف التاريخية التي تحيط بإنتاجهما، حيث لا قطيعة معرفية تفصل بينهما خلافا لما يُعتقد."²

و في ذات السياق يمكننا أن نشيد بالتوجهات المغاربة نحو تطبيق المنهج التوليدي التحويلي التي تفوق فيها عبد القادر فاسي الفهري إذ تعد بحوثه في مجال اللسانيات العربية من أرقى البحوث و هذا لعدة اعتبارات منها:³

²-أحمد المتوكل، الخطاب و خصائص اللغة العربية: دراسة في الوظيفة و البنية و النمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص12.

³- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالياته، ص 282.

- طرح قضايا تحديث الآلة الواصفة لمعطيات اللغة العربية، و ذلك بالانخراط في مستجدات الأسئلة التي أفرزها الخطاب اللساني الغربي، و التوليدي منه بشكل خاص.

- الانطلاق من وعي إبيستيمولوجي يحرك البحث و يدفعه إلى تقديم الدرس اللساني، عربية و غربية، و يتمثل في ضرورة الفصل بين صنفين من اللسانيات: لسانيات ظواهر؛ تفرز خصائص أنحاء اللغات الطبيعية، و لسانيات محاور تؤرخ لمنجزات الدرس النحوي القديم بتوظيف آليات نظرية وتحليلية ناضجة إبيستيمولوجيا، حتى إذا طُرحت قضايا معينة لا تصاغ وفق مفاهيم و استدلالات القدماء و إنما تُطرح بجهاز استدلالي يستوفي شروط المعايير العلمية الكامنة في التنظير اللساني الحديث.

- وضعه لبرنامج عمل في الخطاب اللساني العربي يتجاوز الكلام الإيديولوجي المكرور للتدقيق في قضايا تتوزع في قطاعات معرفية متبادلة (علم اللغة، علم الاجتماع اللغوي، اللسانيات التطبيقية، علم النفس اللغوي...)، و تكمن الخطوط العريضة لهذا البرنامج.

- بناء نماذج آلية و حاسوبية لإدراك اللغة و استعمالها تسترشد بالنماذج النفسية في إطار إدراك آليات اكتساب اللغة و تعلمها.

- التأريخ للنحو العربي القديم بتوظيف منهجية المحاور التي وظفها هولتون.

- استثمار نتائج اللسانيات النظرية في قضايا تدريس اللغة العربية.

يَنعَت البحوث اللسانية العربية من خلال المشاريع المنجزة و فاسي الفهري كان قد انخرط: " عبر مشاريعه العلمية، في بناء أوصاف دقيقة لظواهر من اللغة العربية (صرفا ، و تركيبا، ومعجما، ودلالة)، و لم يكتف بالبحث في قضايا اللغة العربية اللسانية، بل أثار قضايا تهم التخطيط اللغوي، و التوظيف الحاسوبي للغة العربية، إن متابعة دقيقة لما راكمته أبحاث الفاسي الفهري تبين أن معظم القضايا التي أثارها جاءت مواكبة لتطورات الدرس التوليدي، و أيضا للقضايا التركيبية و الصرفية والمعجمية التي شغلت الباحثين المنخرطين فيه.¹

و ما يحسب لفاسي الفهري هو تطبيقه المنهج التوليدي التحويلي بما يتناسب مع طبيعة اللغة العربية ذات السمات الفريدة، و من الجلي أن الباحثين المغاربة قد بينوا من خلال بحوثهم أن النماذج اللسانية الغربية ليست دائما قابلة للتطبيق بحذافرها على اللغات الأخرى، و لا يجدر بنا فعل ذلك على لغتنا، و ما يثير الاهتمام في البحوث اللسانية العربية في المغرب العربي أنها كانت ثرية

¹ - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالياته، ص 283-282.

ومتنوعة و إن لم تسمح لنا هذه المساحة الضيقة من ذكر هم جميعا منهم الباحث الحجاجي عبد الله
صولة و أبو بكر العزاوي و غيرهم كثير.



المحاضرة العاشرة

اللسانيات الصوتية

تمهيد:

اللسانيات الصوتية هي أحد أهم فروع اللسانيات التي تظالعنا عليها الكتب في هذا الفرع البارز وهي مباحث علمية دقيقة، منها ما تعلق بالصوتات الفيزيولوجية و منها ما ارتبط بالصوتيات الفيزيائية و كلها قيمة مضافة إلى اللسانيات العامة، و من أجل إظهار أهمية هذا المجال الجديد على الساحة العربية، سنحاول التطرق إلى أبرز ما جاء فيها من خلال ما ورد لدى رواد الصوتيات العربية الحديثة.

1- ظهور اللسانيات الصوتية:

بدأت إرهابات اللسانيات الصوتية بالظهور في اللسانيات العربية مع عالم الصوتيات الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي ابتكر نظاما صوتيا محكما و مضبوطا في اللغة العربية و هو ما مكن الناطقين بهذه اللغة من التواصل بها بسلاسة و سهولة متناهية و كانت هذه هي الخطوة الأولى لتنامي الدراسات الصوتية التي انحصر غرضها في بداية الأمر على تدوين القرآن الكريم و تيسير تلاوته و تعليم الأمة لغته بهدف اتباع تعاليمه و الاهتداء بهديه.

و المدهش في فكر الخليل هو: "تذوقه الأصوات، و اهتماماته الصوتية التي مكنته من تقعيد بحور الشعر و الأوزان العروضية و الاختلافات الصوتية الدقيقة جدا-و القوة-أن يضع علامات صوتية عدة منها: الشدة و السكون و همزة القطع و همزة الوصل"،¹ و في الحقيقة هذا العالم الجليل عبر عن عبقريته من خلال الصوت؛ و معجمه الذي أنجزه أنبأ على تفوقه و حدة ذكائه و من ملامح هذا الذكاء ذلك ما قدمه للغة العربية من نظريات مثل التقلبات و وضعه ميزانا لمعرفة الكلمات الدخيلة يقول: "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق فاعلم أن تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب، لأنك لست واجدا من يسمع من كلام العرب بكلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا و فيها من حروف الذلق أو الشفوية واحد أو اثنان أو أكثر".²

¹ - عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992، ص 162-163.

² - الخليل، معجم العين، تح: مهدي المخزومي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980، ج1، ص52.

امتزجت المباحث اللغوية أثناء الدراسة الصوتية فالظاهرة النحوية مثلا لا تتفك عن الصوت اللغوي و القضايا الصرفية كذلك و الكتب التي ألفت في هذا الباب دالة على ذلك، من هذا المنطلق يتبين لنا أن اللسانيات الصوتية هي علم متكامل رغم أن لها كيانه المستقل؛ و الأمثلة التي ساقها سيبويه في قضية الإدغام شاهدة على ذلك: " و هي معالم صوتية في الصميم، فقد قدم لها بدراسة علم الأصوات، كما قدم الخليل معجمه بعلم الأصوات، فالخليل قد ربط بين اللغة و الصوت، وسيبويه قد ربط بين قضايا الصوت نفسها ،لأن الإدغام قضية صوتية".¹

2-تعريف اللسانيات الصوتية:

عُرفت الدراسات الصوتية كمجال من خلال اللسانيات الصوتية و هي ذلك: " العلم الذي يدرس أصوات اللغة فيصف مخارجها و يحدد صفاتها، مفردة و مركبة في مواقع استعمالها المختلفة بغية استخلاص قوانين صوتية تكشف عن أحوالها في الكلمة و الكلام إذا النطق والكلام عند الإنسان يتكون من مجموعة من الأصوات الساكنة و المتحركة التي تجتمع لخروج اللغة، و علم الأصوات هو علم يبحث في كيفية نطق هذه الأصوات الساكنة و المتحركة وتصحيح الاضطرابات التي تظهر من نطقها".²

لا تخلو الدراسة اللغوية من الاهتمام بالصوت و في رأي المتخصصين فإن اللسانيات الصوتية هي العلم: " الذي يدرس الصوت الإنساني من وجهة نظر لغوية و قد عد هذا اللون من الدرس علما، لتمييزه عن غيره من فروع الدراسة اللغوية، من حيث موضوعه، ومنهجه، وأهدافه...فعلم الصوتيات لا يعني بغير الصوت الإنساني إلا بقدر ما يخدم هدفه في دراسة ذلك الصوت، و محاولة التعرف على طبيعته و دلالاته، و لهذا فإنه عندما يتعرض للصوت الطبيعي أو الفيزيائي، إنما يفعل ذلك بقصد الوصول إلى طبيعة الصوت الإنساني، الذي لن يكون في الحقيقة غير ذبذبات صوتية، تدخل في دائرة الصوت بمعناه العام و تخضع لكل القوانين التي تحكمه في تكوينه و انتقاله، و غير ذلك مما يتصل به، مما هو مفصل في علم الفيزياء أو الأكوستيكس".³

¹ - محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المريح العربي، بيروت، د.ت، ص 53.

² - هلا السعيد، نظرة متعمقة في علم الأصوات، مكتبة النجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص 13.

³ - عبد العزيز أحمد علام، عبد الله ربيع محمود، مكتبة الرشد، الرياض، 1430هـ-2009م، ص 19.

و عليه لا غنى لمريدي اللغة العربية كلغة من معرفة الأصوات اللغوية من حيث المخارج والصفات و هذا لا يتحقق إلا من خلال اللسانيات الصوتية التي لها فوائد كبيرة للناطقين باللغة العربية و غير الناطقين بها و هي:¹

- اطلاع أهل اللغة على خصائص لغتهم مما يمكنهم من إجادتها و المحافظة على سلامة النطق.
- توجيه الألسنة نحو الفصحى و نطقها بعيدا عن اللهجات المحلية، الأمر الذي يسهم في علاج المشكلة اللسانية مما يقرب بين أبناء اللغة الواحدة.
- مساعدة المعلمين و المربين على تعليم طلبتهم النظام الصوتي للغة و تسهيل عملية تصحيح الأغلط الصوتية.
- يسهل عملية المقارنة بين أنظمة اللغات مما ييسر على المتعلمين الأجانب معرفة خصائص اللغة التي يتعلمونها و ما يميزها عن لغتهم من الناحية الصوتية.

3-فروع اللسانيات الصوتية:

معلوم أن اللسانيات الصوتية لها فروع ككل العلوم و أهم الفروع على الإطلاق هو علم وظائف الأصوات أو ما يدعى بالفونولوجيا و هو: " علم الصوت البشري النطقي الفونيمي البدائي، الذي يهتم بالبحث "الوصفي" العضوي الوظيفي التحليلي التجريدي التجريبي، لكل من أوتوماتيكية، وميكانيكية، و ديناميكية "إصدار أصوات" النطق الفونيمية، التي تمثل المرحلة الزمنية الفيسيولوجية" الثالثة" من مراحل إصدار الكلام، في أي لغة من اللغات، و وضع "النظام" الفونيمي للغة، و تجديد و تقسيم "أعضاء النطق و الحجرات الصوتية" التي تشترك في تكوين و بناء و إنتاج و إصدار "الفونيمات"، و تحديد عدد و أنواع و صفات و خصائص الفونيمات، و "تصنيف" الفونيمات طبقا للنظام الصوتي الفونيمي اللغوي العالمي."²

لقد أخذت الدراسات الصوتية حقها من البحث في جميع الفروع لا سيما الفونولوجيا التي نالت نصيبا معتبرا في اللسانيات العربية و النماذج في ذلك كثيرة، و لأنه فرع من فروع اللسانيات فهو: " يدرس الأصوات الإنسانية من حيث وظيفتها في سياق الكلام، و لذلك سماه بعض اللغويين "علم وظائف الأصوات"؛ لأنه يدرس النظم الصوتية للغة معينة-كاللغة العربية مثلا-، من حيث قيم هذه الأصوات و معانيها، و قوانينها الصوتية، و وظائفها في التركيب الصوتي.. فينظم المادة الصوتية،

¹ - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1991، ص 13-14.

² - وفاء محمد البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، الهيئة المصرية الهامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1994، ص25.

و يخضعها للتقعيد و التنظيم.. و تتسع دائرته ليدرس مع الفونيم phonème، و المقطع و النبر، والنغم.. و دور كل أولئك في تحديد معنى الكلمة، أو العبارة، و تمييزه هذا من ذاك.¹

أما الفرع الثاني الذي لا يقل أهمية عن الأول فهو علم الأصوات اللغوية أو الفونيتيك وهو ذلك الفرع من الدراسة الصوتية الذي يهتم بالأصوات الإنسانية في حد ذاتها، أي من حيث كونها أحداثاً منطوقة بالفعل لها تأثير سمعي معين و لما كان الصوت الإنساني يمر بعدة مراحل منذ تكونه في فم الناطق حتى إدراكه لدى السامع، فإن مجال علم الفونيتيك هو البحث في ذلك الصوت في مراحل المختلفة.²

و زيادة على ما جاء في علم الأصوات أي الفونيتيك فقد استقر هذا العلم على مناهج دقيقة سواء أكانت فيزيائية أو فيزيولوجية أو أكوستيكية فلكل قسم من هذه الأقسام خواص ومميزات تختلف عن الآخر و هذا بالطبع أمر محمود و له فوائد جمة و الواقع أن علم الأصوات أو الفونيتيك هو العلم الذي يدرس: "الظواهر الصوتية و طبيعتها على أنها أحداث فيزيائية physique du son موضوعية objective، و يبحث هذا العلم في سمات أصوات اللغات كلها، أو لغة معينة، من غير أن ينظر في وظائف الأصوات، و من غير أن يُعنى بالقوانين الصوتية."³

في البدء كان علم الأصوات ضيقاً في مجاله لكن سرعان ما توسع بظهور ميادين علمية أخرى، و نظراً للحاجة إلى معرفة تفاصيله المختلفة سواء في تعليم و تعلم اللغة العربية أو لمعرفة تجويد القرآن الكريم فقد بدأت معالم فروع أخرى بالظهور؛ و لأن المقام لا يتسع لذكر كل الفروع بتفاصيلها سنعقد مقارنة بين العلمين السابقين و هما الفونولوجيا و الفونيتيك.

يقال أن الفونولوجيا كعلم هي ألصق ما تكون بالدراسات اللسانية لأن وحداتها كلها صورية واللسانيات تتعامل مع الظواهر الذهنية المجردة، أما علم الأصوات أي الفونيتيك فقد اعتنى بدراسة: "أصوات اللغة (أية لغة) من جانبها المادي الصرف، و قرر بعضهم أن هذه الدراسة الأنسب لها أن تدخل في إطار "الفيزياء"، لا في إطار اللغة، و ذهب آخرون إلى أن "الفونيتيك" خاص بدراسة

¹ - عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، ص 35.

² - عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في علم أصوات العربية، الجريسي، القاهرة، ط3، 1424هـ-2004م، ص 20-21.

³ - عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية الفونيتيك، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992، ص 38.

أصوات الكلام، و أن الفونولوجيا هو المختص بأصوات اللغة، وهذا رأي الآخذين بمبدأ دي سوسير الذي يفصل بين الكلام parole و اللغة langue.¹

و الحقيقة أن هناك فروق كثيرة فمنها ما تعلق بالسعة و الشمول و منها ما تعلق بالتخصيص فالفونيتيك: " عند مقابلته بالفونولوجيا يصبح ذا مدلول ضيق نسبيا؛ إذ هو يطلق حينئذ و يراد به دراسة الأصوات من حيث كونها أحداثا منطوقة بالفعل event actual speech لها تأثير سمعي معين auditory effect دون نظر في قيم هذه الأصوات أو معانيها في اللغة المعينة: إنه يعنى بالمادة الصوتية لا بالقوانين الصوتية، و بخواص هذه المادة أو الأصوات بوصفها ضوضاء noise، لا بوظائفها في التركيب الصوتي للغة من اللغات.²

إن التفريق بين الفونولوجيا و الفونيتيك هو منهجي وحسب و لا ينكر عاقل اشتراكهما في الكثير من المباحث فهما علمان متداخلان و لا يستغني أحدهما عن الآخر؛ إنهما متكاملان و الآراء التي جاءت في هذا الخصوص كثيرة و كثيرة جدا.

4- أهمية اللسانيات الصوتية:

تحتل اللسانيات الصوتية مكانة عظيمة في مجال الدراسات اللغوية خاصة أن الصوت هو محور اللغة و أساسها يقول الجاحظ: " هو آلة اللفظ، و الجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، و لن تكون حركات اللسان لفظا و لا كلاما موزونا و لا منتورا إلا بظهور الصوت، و لا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع و التأليف،"³ و قيمة الدراسات الصوتية من قيمة الصوت، خاصة في المجالات التطبيقية من قبيل علم التجويد و تعليم و تعلم اللغات و علم أمراض الكلام، و علوم أخرى.

درج الحديث عن اللسانيات الصوتية في العديد من المجالات - كما مر بنا - و هو علم يرتبط بالكثير من الحقول منها حقل الدراسات اللغوية الذي يتقاطع مع مباحثه و منها ما زاد على ذلك حيث أثره و أغناه مثل مجال علم التجويد يقول أحمد مختار عمر و هو أحد الباحثين في هذا العلم: " كان لعلم التجويد الأثر الكبير في انتعاش الدرس الصوتي عند علماء العربية؛ ففي ظله تحددت

¹ - كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000، ص 10.

² - المرجع نفسه، ص 66.

³ - الجاحظ، البيان و التبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، القاهرة، ط5، ج1، ص 56.

معالمه، و توحدت مصطلحاته فكونت منه علما قائما بذاته، شأنه في ذلك شأن ما دأبت عليه لغات أخرى في عنايتها بعلم الأصوات لقدسية اللغة التي كانت بها كتبهم.¹

و الذي نرمي إليه من خلال التعرّيج على أهمية و مكانة اللسانيات الصوتية هو الوصول بكم إلى الهدف من توضيح مباحث هذا العلم و الحديث عن قضاياها و هو اختصاص عميق في تفاصيله و حديث في مجالاته و لا مناص من الانكباب على دراسته و هي عملية جوهريّة ينبغي أن نعطيها حجمها الذي تستحق لا من البحث و حسب بل من حيث التعظيم والتميز عن غيرها من الميادين.

ما نؤكد به بخصوص أهمية اللسانيات الصوتية هو الاستثمار في هذا المجال الخصب الذي ننادي من هذا المنبر إلى الأخذ به إلى قطاعات مختلفة المجال و النهل منه هو تطوير له، إن الدراسة الصوتية هي أساس اللغة:" و لما كانت الأصوات هي دعامة اللغة الأساسية، كان لا بد لها من الدخول المباشر في صيغها، و أبنيتها التركيبية، سواء على مستوى النظم (syntax)، أو على مستوى الدلالة (semantics)، أو على مستوى الصرف (morphology)، أو على مستوى المعجم، lexicography و إن أي دراسة لغوية لا تأخذ بعين الاعتبار الجانب الصوتي، كملحظ أساسي، تعد قاصرة، و غير منتجة، إذا كنا نعد اللغة منظومة محكمة البنية، و أن كل ما جاءت به بحاجة إلى إعادة في الرؤية و البناء التحليلي،² هذه هي الحقيقة أن اللسانيات الصوتية لها مكانة في اللسانيات و هي مبحث هام مثلها مثل اللسانيات التركيبية.

¹ - أحمد مختار عمر، البحث الصوتي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1396هـ-1976م، ص 2.

² - عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، دار أزمنة، الأردن، 1998، ص28.

المحاضرة الحادي عشر

اللسانيات التركيبية

تمهيد:

غاية كل دراسة لغوية التواصل، و التركيب هو من يضمن هذا التواصل، و لهذا لا نجد نظرية لسانية إلا وقد بحثت في دورة التخاطب التواصلية؛ و اللسانيات العربية لم تتأ عن إثارة موضوع التركيب من خلال ما يسمى باللسانيات التركيبية، و أهمية البحث في هذا المجال كبيرة كونها تدخل في ميدان التعليمات التي تتطلع إلى معرفة كل البنى التركيبية وطرق تعليمها و تعلمها و لهذا سيكون هذا الدرس مخصصا لللسانيات التركيبية.

1-تعريف اللسانيات:

اللسانيات علم حديث ظهر بظهور دروس فيرديناند دي سوسير الذي أسس هذا المجال الخصب في نهاية القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين و قد انصب البحث اللساني في هذه الفترة من الزمن على اللغة باعتبارها كيانا صوريا و أهم السمات التي تم التركيز عليها هي السمات التركيبية، و أشهر مدرسة تناولت التركيب بالدراسة هي مدرسة أندري مارتيني الوظيفية.

إن البحث اللساني التركيبي هو أبرز ما جاء في نظرية مارتيني بل الأساس الذي قامت عليه مدرسته و هذا ما أثبتته التحليلات اللسانية التي انتقل إليها رواد حلقة براغ حيث توسعوا فيها وذهب فيها مؤسسها إلى أن: "العناصر المتحفظ بها(في الخطاب) هي تلك التي كان بالإمكان أن لا تظهر في السياق الذي وجدناه فيه: فهي إذن تلك التي استعملها المتكلم هناك عمدا، و التي استجاب لها السامع لأنه عرف فيها قصدا تبليغيا لدى مخاطبه".¹

إن التركيز على التركيب هو ترسيخ لمبدأ النظام الذي جاء به سوسير و الذي اختار له صاحب المدرسة الوظيفية طريقة التقطيع المزدوج للغة la double articulation du langage لتحليل الوحدات التركيبية التي تكون في المستوى الأول دالة و هي الكلمات التي هي عبارة عن تركيب ذا دلالة و التقطيع إلى المستوى الثاني الذي يقطع إلى أدنى ما يمكن أن يصل إليه التحليل و هي وحدات غير دالة.²

¹ - أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، تر: زبير سعدي، دار الآفاق، الجزائر، ص 34.

² - المرجع نفسه، ص 18.

لقد ركزنا في هذا العنصر على مصطلح اللسانيات من المنظور اللساني الوظيفي لأنه أقرب إلى اللسانيات التركيبية؛ لكن لا ندعي البتة أن التركيب موجود فقط في المدرسة الوظيفية بل إن معظم المدارس أشارت إلى أهميته و درسته بطريقة أو بأخرى، و هو أمر طبيعي لأن اللغة الغاية منها هو الوصول إلى فائدة دلالية و هذه الفائدة لا تكون إلا في التركيب.

2-تعريف التركيب:

2-1-التركيب لغة:

جاء تعريف التركيب في العديد من المعاجم اللغوية و هو من مادة ر ك ب يقول أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة: "الراء و الكاف و الباء، أصل واحد مطرد مُنْقَاس و هو علو شيء شيئاً،"¹ و هو المفهوم ذاته الذي ألفيناه لدى ابن منظور في معجمه لسان العرب: "كل شيء علا شيئاً: فقد ركبته... و تراكب السحاب و تراكم: صار بعضه فوق بعض،"² و من خلال التعريفين الذين وردا في أشهر معجمين في اللغة نفهم أن التركيب يعني علو الشيء على الشيء و هو معنى غير بعيد عن المعنى الاصطلاحي كما سنرى، و هذا الاشتراك الدلالي ليس من محظ الصدفة بل هو يدل دلالة واضحة على دقة التعريفات التي جاء بها اللغويون و المتخصصون في صناعة المعاجم سواء كانت قديمة أو حديثة.

2-2-التركيب اصطلاحاً:

قد يلتبس مفهوم التركيب مع غيره من المفاهيم القريبة منه مثل الجملة لكننا هنا نقصد التركيب بمعناه العام و المراد به: "إنما هو ضم مفرد إلى مفرد،"³ و من خلال هذا التعريف نستشف بأن الكلمة أيضاً تركيب مثلما الجملة تركيب و هذا ما ذاهب إليه أغلبية العلماء النحويين يقول أبو البقاء العكبري: "و أما التركيب ففرع على الأفراد؛ لأنه ضم مُفْرَد إلى مُفْرَد على قصد جعلهما اسماً لشيء واحد."⁴

لكن هناك رأي مخالف لما قلناه إذ يذهب بالتركيب إلى معنى الجملة يقول الغلاييني: "المركب قول مؤلف من كلمتين أو أكثر لفائدة، سواء أكانت الفائدة تامة، مثل: النجاة في الصدق، أم ناقصة،

¹ - أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، 1979، ج2، ص 432.

² - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج1، ط3، ص 428-432.

³ - ابن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج2، ص 111.

⁴ - العكبري، اللباب في علل البناء و الإعراب، تح: عبد الإله انبهان، دار الفكر، دمشق، ط1، ج1، 1995، ص

مثل: نور الشمس و الإنسانية الفاضلة، و إن تتقن عملك،¹ و هنا يشترط في التركيب الفائدة و هذا هو معنى الجملة، و هذا ما قال به العلامة شهاب الدين الأندلسي إذ يقول: "حد التركيب: ضم كلمة إلى مثلها فأكثر،"² و هو بالضبط ما ذهب إليه الغلاييني وهو قول واحد و جامع في رأييهما.

نخلص من خلال ما جاء في أقول أشهر العلماء النحويين أن التركيب يدخل في حيزين اثنين حيز الكلمة و حيز الجملة، و السؤال الذي قد يطرحه بعضكم هو هل التركيب كلمة أم جملة الجواب هو كلاهما تركيب لكن أحدهما أخص من الآخر فالجملة تركيب يشترط فيه الفائدة أما الكلمة فهي تركيب لا يشترط فيه الفائدة.

3- مفهوم اللسانيات التركيبية:

اهتمت اللسانيات التركيبية بالمبادئ الإجرائية الكبرى التي تزود اللسانيين المتخصصين بأهم المناهج العلمية التي تجعل التركيب محور الدراسة اللسانية، و القضية المحورية التي يعالجها هذا العلم هي التركيب باعتباره جوهر اللغة و بدونه لا تقوم لهذا العلم قائمة، و عليه يمثل التركيب أحد أهم القضايا التي جاءت في مستويات اللغة فهو أهم من المستوى الصوتي و المستويات الأخرى لأنه هو من يقيم اللسان و اللغة.

و حتى يتسنى لنا فهم مصطلح اللسانيات التركيبية حاولنا تقسيم المصطلح إلى اثنين الأول تحدثنا فيه عن اللسانيات و الثاني عن التركيب ثم مزجنا كل منهما لنخرج بتعريف واف و شاف عن اللسانيات التركيبية، التي تعد أهم العلوم اللغوية؛ بل مقصدها الأساسي الذي هو اللغة و التواصل.

كما مر بنا فإن التركيب قد حظي باهتمام كبير من قبل العلماء في مجال اللسانيات وعد في بعض المدارس مطلباً أساسياً لا محيد عنه، و لمن لم يعرف اللسانيات التركيبية فهي العلم الذي يعنى بدراسة اللغة من حيث تراكيبها و قد جاء ذكرها في أشهر المعاجم اللسانية على أنها ذلك: "الجزء من النحو الواصف للقواعد التي تتألف بها الوحدات الدالة في الجملة، و يخالف التركيب الذي يحلل الوظائف الصرف، الذي يدرج تكوين الكلمات و اشتقاقها، وهناك من يخلط بين النحو و بين التركيب."³

¹ - مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، جامع الدروس العربي، المكتبة العصرية، بيروت، ط28، 1993، ص 12.

² - شهاب الدين الأندلسي، الحدود في علم النحو، تح: نجات حسن عبد الله نولي، الجامعة الإسلامية، الرياض، ص 435.

³ - المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص146.

يطلق على اللسانيات التركيبية في بعض المراجعيات اللسانية مصطلح علم التراكيب المراد به: "الطريقة التي من خلالها تُنظم و تُرتب الكلمات؛ لتبين العلاقات الدلالية داخل الجملة، و بين الجُمْل و يرجع المصطلح (syntaxe) إلى الكلمة اليونانية (syntaxis) التي تعني الترتيب أو التنظيم (arrangement).¹"

إذا اللسانيات التركيبية من خلال ما ورد في التعريفات السابقة هي علم يعنى بالنظام التركيبي للغة في أي لسان و مهمته الأساسية هي البحث عن ثنايا الكلمات في الجملة و لا يقتصر التركيب كما قلنا على الجملة و إنما تدخل في ذلك الكلمة باعتبارها المركز الجوهري لها، وقد تناولت اللسانيات العربية هذا المبحث في التراث العربي بعناية شديدة؛ و الإشارات في ذلك عديدة و كثيرة في المدارس العربية القديمة، و ما تركيز العرب على الجملة إلا مثال فقط عن هذه العناية المراد منها الفائدة الدلالية يقول الجرجاني: "و مما ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر، أنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادا و مجردة من معنى النحو، فلا يقوم في وهم و لا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى فعل من غير أن يعلمه في اسم، و لا يتفكر في اسم دون أن يعمل فيه فعل،...ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها، و اعلم أي لا أقول إن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم مفردة أصلا، و إنما أقول إنه لا يتعلق بها مجردة من معاني النحو."²

يمكننا إجمالاً القول بأن اللسانيات التركيبية هي من أبرز و أدق المجالات اللسانية على الإطلاق لما تتميز به من خصائص و مميزات تبوؤها المكانة التي أرادها لها العلماء المتخصصون في النحو و الجملة و الواقع أن التركيب يدخل في العديد من المجالات و هو أنواع مختلفة تختلف من حيث العلاقات و سنتطرق إليها في مواضع مختلفة من هذه المحاضرات.

2- اللسانيات التركيبية من منظور اللسانيات العربية:

كثرت و تنوعت الدراسات في مجال التركيب في اللسانيات التركيبية بل تمحورت حول عنصر أساسي في جميع التحليلات اللسانية و أول مدرسة لسانية تبنت هذا المصطلح هي مدرسة فيرديناند دي سوسير عندما قسم إحدى ثنائياته إلى محورين: محور التراكيب و محور الاستبدال هذا بالنسبة للغرب، أما في اللسانيات العربية فالتركيب يتنوع بحسب مكوناته والمدارس التي ظهرت عند العرب

¹ - عبد القادر سلامي، التركيب و أهميته اللسانية بين القدماء و المحدثين، مجلة آفاق علمية، الجزائر، ع13، 2017، ص 133.

² - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، شركة القدس، القاهرة، 1413هـ-1992م، ص 410.

كثيرة منها المدرسة البيانية التي أسسها الجاحظ و قد سميت بهذا الاسم نسبة إلى البيان الذي أساسه هو التركيب.

لا ينفك الحديث عن التركيب من الذكر في اللسانيات العربية لا سيما في مدارسها اللسانية منها المدرسة البيانية التي ترى أن التبليغ قائم على التركيب يقول محمد الصغير بناني أن الجاحظ: "تجشم المسالك الوعة لاستيعاب الكلام في جميع"¹ مضانه و يضيف بأن الجاحظ أحاط: "في كتابه بجوانب لسانية لم تدرك أهميتها إلا الآن بعد الرجوع إلى الدراسات الحديثة، كما...في نظرية المشاكلة، و تحليله لمفهوم المشاكلة مكنه من الانتقال إلى درجة أعلى من البلاغة التي ينتهي دورها في مطابقة الكلام لمقتضى الحال."²

إن مفهوم البيان الذي ورد عند الجاحظ لا يخرج عن التركيب الذي ذكره سوسير في المحور التركيبي فهو حسبه: "كالنسج يقوم على السدى في خيوط الطول و على النير في خطوط العرض... لكن الجاحظ يضيف الصورة فيخرج بذلك الكلام من الخطية في بعدها الأحادي إلى التصوير ليشمل جميع الأبعاد التي تتألف منها الصورة."³

و المفيد في دراسة التراكيب في اللسانيات العربية هو ما جاءت به المدرسة الجرجانية المعروفة بمدرسة النظم: "و إن كان هناك مفهوم ينسجم مع الدراسات الحديثة فهو بلا شك مفهوم النظم كما تصوره الجرجاني و النظم يعني كيفية تركيب الكلام انطلاقا من الجملة البسيطة ليصل إلى نظم القرآن في تراكيبه الصوتية و الدلالية و النحوية و البلاغية والأسلوبية و الغيبية الإعجازية و النظم باختصار يعني تأليف الحروف و الكلمات و الجمل تأليفا خاصا يسمح للمتكلم و السامع أن يرتقيا بفضل بديع التركيب إلى مدارك الإعجاز في المعاني."⁴

و إذا نظرنا في المفاهيم الأخرى التي وردت في التراث العربي بمصطلحاته المختلفة نجد أن التركيب ماثوث في جميع المدارس اللسانية العربية النحوية و البلاغية و غيرها و لعل الحديث عن البعد العمودي للكلمات paradigmatic في المدرسة الشمولية للسكاكي هي أحد أهم ماجاء على ذكر التركيب خاصة ما ورد في البعد الأفقي حيث تناول السكاكي: "التراكيب النحوية الوضعية التي

¹ - محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي و في الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001، ص 17.

² - المرجع نفسه، ص 18.

³ - المرجع نفسه، ص 23.

⁴ - المرجع نفسه، ص 24.

تصير تراكيب بلاغية إذا تصرف المتكلم في نسجها في الخيوط التي تذهب عرضا يعني في الاتجاه النيري "syntagmatique"،¹ أي التركيبي بتعبير اللسانات الغربية.

إن الكلام عن اللسانيات التركيبية يطول بحسب التفصيل في مفهوم التركيب و زوايا النظر إليه في اللسانيات العربية أو الغربية و ليس من الغريب أن يفقه ابن خلدون صاحب النظرية الارتقائية هذا المفهوم رغم اهتمامه بمجال العمران و الحقيقة أن: "كيفية صنع التراكيب الكلامية ككيفية صنع التراكيب العمرانية تخضع للذكاء و الحذق و لذلك فكر ابن خلدون في الجمع بين التراكيب العمرانية و التراكيب اللسانية في علم واحد للتراكيب سماه فقه التراكيب...ففقه التراكيب هو كل شيء في نظرية ابن خلدون، و التراكيب الارتقائية هي وحدها التي تمكن من الارتقاء إلى مدارك الإعجاز في القرآن الكريم بحيث يمكن القول أن التراكيب المعنوية تبدأ عند العناصر العليا المؤلفة لنظم القرآن الذي لا تتركه إلا خواص النفوس".²

لقد خلصت المدرسة الخلدونية إلى مفهوم جديد للتركيب و هو مفهوم مرتبط بمسائل العمران وقضاياها و هو ارتباط غريب في نظر بعض المتخصصين في اللسانيات لكن الحقيقية هي أن: "فقه التراكيب يتلخص في نظر ابن خلدون في مفهوم الأسلوب و هو أسمى ما توصل إليه التفكير الخلدوني في لسانياته الارتقائية"،³ و ما يجب التنبيه إليه هو أن ابن خلدون استعمل مفهوم آخر للتركيب هو المنوال يقول محمد الصغير بناني: "يلاحظ أن ابن خلدون يستعمل مفهوم "المنوال" ليعبر عن التركيب الواسع الذي يشمل جميع التراكيب و ترص فيه جميع الأنسجة الكلامية النحوية والبلاغية و الوزنية و حتى السدائية و النيرية و يقابل المنوال المضمار الذي هو صورة مصغرة ودقيقة للمنوال".⁴

المعالم التي رسمتها اللسانيات العربية في مجال اللسانيات التركيبية لا يقتصر على ما تعلق بالتراكيب بل ما ارتبط منها بالدلالات أيضا و هذا ما لم تستغن عنه الدراسات العربية حيث كان مجال اللسانيات الدلالية أوسع و أشمل و الحق أن فضائل اللسانيات التركيبية كبيرة و واسعة في مجال اللسانيات الدلالية و هذا واضح بشكل جلي في الدراسات العربية المعاصرة.

¹ - محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي و في الدراسات الحديثة لمرجع السابق، ص 47.

² - المرجع نفسه، ص 54.

³ - المرجع نفسه، ص 55.

⁴ - المرجع نفسه، ص 57.

المحاضرة الثانية عشر

اللسانيات الدلالية

تمهيد:

لا يكتمل التركيب إلا بالدلالة، و اللسانيات الدلالية المغزى من وجودها هو دراسة هذه الدلالة والبحث في قضاياها، و لذلك راح الباحثون اللسانيون يستكشفون المعنى و ما ارتبط بالمستوى الدلالي الذي هو منتهى ما يمكن أن يصل إليه التحليل اللغوي، و لأن طرق التحليل تختلف من مدرسة لسانية إلى أخرى، فإنه من الضروري الحديث عنه في هذا المبحث اللغوي.

1-إرهاصات اللسانيات الدلالية:

تعود إرهاصات الدراسة الدلالية في اللسانيات العربية إلى البحث في أصول اللغة ومنابعها الأصلية خاصة إذا كانت المقاصد الأساسية هي فهم القرآن الكريم و التفقه فيه، ومن ثمة كانت الإحاطة بعلوم الدين و النظر في علوم الدلالة هو مما لا يُستغنى عنه أبداً، والبحوث التي جاءت في الكتب التراثية شاهدة على ذلك و بحوث الشافعي: "قد تكون الأصل لما لحق بعد ذلك من بحوث في علم الأصول، و أن ما أضيف من زيادات على تلك البحوث إنما كانت تخريجاً عليها و تفرعات لها، كما كانت أيضاً أول بحوث تكتب في علم الدلالة عند الأصوليين على أساس من منطق اللغة نفسها".¹

لقد برع العديد من العلماء التراثيين في اللسانيات الدلالية و خيرهم من برع في هذا الباب، فعلى الرغم من اعتناء العرب بقضية اللفظ و نظمه و سبكه إلا أن الدلالة كانت هي الأصل يقول ابن الأثير: "و مع هذا فلا تظن أيها الناظر في كتابي أنني أردت بهذا القول إهمال جانب المعاني بحيث يؤتى باللفظ الموصوف بصفات الحسن و الملاحه، و لا تكون تحتها من المعنى ما يماثله ويساويه فإنه إذا كان كذلك كان كصورة بديعة في حسنها إلا أن صاحبها بليد أبله (أحمق)، و المراد أن تكون هذه الألفاظ المشار إليها جسماً لمعنى شريف".²

تشير العديد من المصادر التراثية أنه لجلالة الدلالة تقدم المعنى على اللفظ و نحن في هذا المقام لسنا بصدد الترجيح لهذه المسألة و لا إلى الأخرى التي ترى بتقدم اللفظ على المعنى و إنما

¹ - سيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة، القاهرة، 1996، ص 20.

² - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، 1995، ص 88.

هو إيعاز منا بقيمة الدلالة و المعاني التي قال عنها حازم القرطاجني أنها: "الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن و أنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة في أفهام السامعين و أذهانهم،"¹ و هي إشارة منه إلى قيمة الدلالة و دعوة صريحة لدراستها و التفقه فيها.

إن الصورة التي طبعت المشهد العام في اللسانيات الدلالية قديما هي قضية المعنى واللفظ، واللافت للنظر هو أن المسألة لم تستثن علما من علوم العربية فهذا سيبيويه يفرد بابا في النحو سماه باب اللفظ للمعاني و هو ربط واضح للمعاني بألفاظها و كان: "ربط اللفظ بالمعنى أو الشكل بالمضمون وفق أحكام لغوية يقتضيها درس النحوي، و هي ذات أهمية بالغة لارتباطها بالقوالب التحديدية كالفاعلية و المفعولية و الإضافة و غيرها من الدلائل الوظيفية النحوية."²

و كما مر بنا في مبحث اللسانيات التركيبية فإن التصورات و المفاهيم التي جاء بها الجاحظ في المدرسة البينانية جعلت من الدلالة ترتقي من اللفظ إلى المعنى، و المتأمل فيما ورد في كتابه البيان و التبيين يفهم أن اللسانيات الدلالية قد انطلقت من نظرية البيان يقول محمد الصغير بناني عن هذا الرجل أنه بدأ: "بتلخيص الدلالات في خمسة لا تزيد و لا تنقص هي: اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم النصب، و سر هذا التصنيف لا يزال لغزا لكن يبدو أنه قائم على النظرة الارتقائية التي تتلخص في عبارة "العالم الصغير سليل العالم الكبير" الشهيرة عنده حيث ينحدر اللفظ من الإشارة والإشارة من العقد و العقد من الخط و الخط من النصب"³ و هذا إقرار صريح بأهمية الدلالة في التراث اللساني العربي.

2-تعريف الدلالة:

ما نظر باحث في الدلالة إلا وقلب الفكر في مفهوم الدلالة و المعاني الواردة فيها سواء في المعاجم العربية التي تبنت البحث في المعنى اللغوي أو في المفهوم الاصطلاحي الذي جاء به العلماء و المتخصصون في اللسانيات الدلالية، و هذا ما سنحرص عليه ههنا و الغرض معروف هو استجلاء المستوى الدلالي بعناية، و فيما يلي التعريف اللغوي و المفهوم الاصطلاحي للدلالة.

¹ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1966، ص 18.

² - صفية مطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص 22.

³ - الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي و في الدراسات الحديثة، ص 18

2-1- الدلالة لغة:

وردت كلمة الدلالة في المعاجم و هي لفظ مشتق من مادة د ل ل و المراد بها التوجيه والاهتداء إلى الطريق قال الزمخشري في أساس البلاغة: "دله على الطريق، و هو دليل المفازة و هم أدلاؤها، و أدلثُ الطريق: اهتديت إليه،..و الدال على الخير كفاعله، و دله على الصراط المستقيم و تناصرت أدلة العقل و أدلة السمع، و استدل به عليه، و أقبلوا هدي الله دليله"¹ و هو معنى قريب مما وجدناه في لسان العرب لابن منظور حيث ورد في مادة د ل ل الدلالات التالية: دله على الشيء يدلّه دلا و دلالة فاندل: سدده إليه، و الدليل: ما يستدل به، و الدليل: الدال، و قد دله على الطريق يدلّه و دلالة و دلالة و دلولة و الفتح أعلى، والاسم: الدلالة والدلالة بالكسر و الفتح، والدلولة و الدليلي، قال سيبويه: و الدليلي علمه بالدلالة و رسوخه فيها.²

و الفيروز آبادي هو الآخر ذهب إلى ما ذهب إليه ابن منظور في مادة د ل ل يقول: "والدلالة ما تدل به حميمك، و دله عليه دلالة و دلولة فاندل: سدده إليه...و قد دلت تدل والدال كالهدي،"³ وسنرى بأن المعنى اللغوي للفظ الدلالة قريب جدا مما جاء لدى العلماء الذين عرفوا الدلالة اصطلاحا فكانت أقرب ما تكون إلى دلالة الطريق و الاهتداء.

2-2- الدلالة اصطلاحا:

ورد تعريف الدلالة في الكتب و المصادر التراثية على أنه دراسة للمعاني يقول الراغب الأصفهاني: "الدلالة: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى و دلالة الإشارات و الرموز و الكتابة و العقود في الحساب، و سواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي،"⁴ و نستنتج من هذا القول أن الدلالة باب واسع من المعاني و لذلك وجدنا أبا هلال العسكري يفرق بين بعض الدلالات التي يشترك فيها مجموعة من الكلمات التي تتقاطع مه مفهوم الدلالة مثل الإشارة و العلامة و الأمانة و غيرها كثير يقول: "إن

¹ - الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار، الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، 1998، مادة

د ل ل، ص295.

² - ابن منظور، لسان العرب، لسان العرب، تح: سالم الكيلاني و حسن عادل التميمي، مركز الشارقة الأوسط الثقافي، بيروت، ط1، ج7، 2011، مادة د ل ل. 152-153.

³ - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، ج1، دت، مادة د ل، ص1292.

⁴ - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد خليل عياني، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1422هـ- 2001م، مادة د ل، ص177.

الدلالة تكون على أربعة أوجه: أحدها ما يمكن أن يُستدل به قصد فاعله ذلك أو لم يقصد،... والثاني- العبارة عن الدلالة، يقال للمسؤول: أعد دلالتك، و الثالث- الشبهة يقال: دلالة المُخالف كذا أي: شُبّهته، و الرابع- الأمارات: يقول الفقهاء: الدلالة من القياس كذا، و الدليل فاعل الدلالة.¹

الفروق اللغوية التي جاءت في الألفاظ التي تتقاطع مع مصطلح الدلالة دقيقة جدا و هي و إن افترقت أو اختلفت فإنها تعود و ترجع إلى أصلها ألا و هو الدلالة و هي معطيات تتبدى من خلال ما سقناه سابقا في التعريف اللغوي، و في إشارة إلى الدلالة من خلال نظرية النظم يقول الجرجاني: "وجب أن يُعلم أن مدلول اللفظ ليس هو وجود المعنى أو عدمه، و لكن الحكم بوجود المعنى أو عدمه، أن ذلك أي الحكم بوجود المعنى أو عدمه أو حقيقة الخبر، إلا أنه إذا كان بوجود المعنى من الشيء أو فيه يسمى إثباتا، و إذا كان بعدم المعنى و انتقائه عن الشيء يسمى نفيا."²

لقد كان الجرجاني حازما في رأيه بإزاء مصطلح الدلالة إذ كان دقيقا حينما وازن بين اللفظ والمعنى و هي مسألة معقدة و تحتاج إلى تريث في إصدار الحكم؛ و لهذا يقول في موضع آخر من كتابه دلائل الإعجاز: "إن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس و أنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتا و أصداء حروف لما وقع في ضمير، و لا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب و نظم،"³ و هو موقف يحسب له في ميدان اللغة و البلاغة و تصورات هذه كان لها الأثر العظيم في مجال اللسانيات الدلالية التي خصصت لها بحوث طويلة و انفردت بعضها بذكر مفاهيم دقيقة لهذا العلم الوافد في اللسانيات العربية الحديثة.

3- مفهوم اللسانيات الدلالية:

اللسانيات الدلالية مجال جدير بالدراسة و البحث، و لا أحد يستطيع أن ينكر ما جاءت به التصانيف القديمة من مفاهيم بخصوص مباحثه و القضايا المتعلقة به، و هو فرع جديد في اللسانيات العربية الحديثة و حتى نتبين جيدا التصورات التي وردت فيه نقول في البدء أنه علم له العديد من التسميات منها علم الدلالة و علم المعنى و المراد به: "العلم الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى."⁴

¹ - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم و الثقافة، القاهرة، 1997، ص 68.

² - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد التتجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995، ص 284.

³ - المصدر نفسه، ص60.

⁴ - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ج2، ط1، 2008، ص 11.

لا شك أن دراسة الدلالة في هذا الحقل الجديد شديدة الأهمية، لا سيما أنها تهتم بالمعنى في مضائه و أصوله، و ارتباط اللسانيات الدلالية بالعلوم الأخرى ليس وليد الساعة بل هو ممتد في التاريخ و لذلك نجد مفاهيمه تختلف بتنوع المجالات التي تتقاطع معها و من أهمها على الإطلاق علوم اللغة التي أثارت قضية دراسة اللغة باعتبارها نظام من العلامات الدالة و الدال هو: "مثير بديل يستدعي لنفسه الاستجابة نفسها التي قد يستدعيها شيء آخر عند حضوره، و من أجل هذا قيل: (إن الكلمات رموز لأنها تمثل شيئاً غير نفسها و عرفت اللغة بأنها نظام من الرموز الصوتية و العرفية."¹

تعالج اللسانيات الدلالية قضايا الرمز و العلامة اللغوية و لذلك فهو: "أحد فروع علم اللغة أو اللغويات أو اللسانيات، و هو من أهم هذه الفروع و أعقدها و أمتعها في آن واحد، فهو هام لأنه يبحث في المعنى الذي هو الوظيفة الرئيسية للغة و هو معقد لأنه يبحث في أمور مجردة متشعبة ذات طبيعة فلسفية نفسية، و هو ممتع لأن اقتحامه، على ما فيه تعقيد، يعطي الباحث متعة ذهنية راقية."²

و نخلص مما سبق إلى أن اللسانيات الدلالية هدفها دراسة المعنى الذي يدخل في جميع المستويات اللغوية، و لا بد أن ننوه هنا بقضية هامة هي التشابه بين علم المعاني و علم المعنى الذي هو ذاته اللسانيات الدلالية و هي: "علم يبحث في معاني الكلمات و الجمل، أي في معنى اللغة، و لعلم الدلالة اسم آخر شائع هو "علم المعنى" لاحظ أن المرادف لعلم الدلالة هو علم المعنى، و ليس علم المعاني، لأن علم المعاني فرع من فروع علم البلاغة."³

4- اللسانيات الدلالية في التراث العربي:

تناولت اللسانيات الدلالية في التراث اللساني العربي العديد من المفاهيم الذهنية المجردة التي ارتبطت في مجملها بالفكرة و هي المقوم الأساسي للدلالة و بها اشتغل العرب و أخرجوا لنا نظريات جامعة و مائعة حيث لم يتركوا شيئاً إلا و خاضوا فيه و من هذا المنطلق جاء البحث الدلالي بالكثير من التفسيرات التي عجز الغرب عن الإتيان بها- فيما نعلم- و لا ريب أن اللسانيات الدلالية عكست: "رؤية حقيقية لإسهامات علمائنا العرب القدامى و أسبقيتهم على الغرب في مجال البحث الدلالي و في كثير من قضاياها، و أن المتمعن في التراث الأصولي يجد أن الدلالة حاضرة بقوة في

¹ - محمد سعد محمد، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2007، ص 9.

² - محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح، الأردن، 2001، ص 11.

³ - المرجع نفسه، ص 13.

دراساتهم و إسهاماتهم، بل يمكننا القول إن الدلالة لم تتضح معالمها إلا من خلال الاستثمار الحقيقي لها لأجل استنباط الأحكام من النصوص الشرعية من لدن هؤلاء الأصوليين، و على الرغم من اختلاف توجهاتهم و تقسيماتهم للدلالة، إلا أنهم درسوا و بحثوا في الدلالة نصا و سياقاً، لفظاً و جملة.¹

لقد ارتكزت اللسانيات الدلالية في التراث العربي على المعنى و الدلالة فأنتج العرب من خلال هذا التركيز أجود النظريات و المفاهيم و منهم أبو هلال العسكري الذي قدم: "عملا دلاليا متميزا له طرافته العلمية، إضافة إلى جهوده اللغوية و التقليدية التي منها معجمه (التلخيص في معرفة الأشياء) المرتب بحسب أبواب المعاني، فقد صنف مؤلفا بعنوان الفروق اللغوية رغب في أن يظهر من خلال أبوابه الثلاثين المساحات الدلالية لعدد من الألفاظ التي تتقارب و تتداخل عند أهل اللغة والعلماء،"² و إذا أمعنا النظر فيما جاء به هذا الرجل العبقرى في مجاله نجده قد خصص معارفه اللسانية من أجل التحليلي الدلالي للغة، واطلعنا البسيط على ماجاء بعض كتبه خاصة كتاب الفروق اللغوية يجعلنا نتأكد أن المبحث الدلالي قد استوفى حقه في اللسانيات الدلالية التراثية.

و تلحق الدلالة بالمباحث النحوية في التراث العربي و القضايا المتعلقة به و هذا ما قدمه لنا ابن جني في المستوى النحوي و هو الذي قام: "بتحليل عدد من المسائل الفرعية في "الخصائص" معتمدا على العلاقة بين اللفظة المفردة و دلالتها (معناها)، و من ذلك الباب الذي عنوانه (بتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، و يعرض فيه نماذج من الكلمات المتقاربة في معظم حروفها، و ذلك لتقارب مدلولاتها"³ و يبدو من خلال ما كتب في التراث العربي عن الدلالة غزير و لا مجال لتضييق مجالاته التي ادعاها بعض الباحثين؛ إنها ثرية و اللسانيات الدلالية كمجال تضاهي ما جاء به الغرب بالفعل لا بالقول.

¹ - إدريس بن خويا، علم الدلالة في التراث العربي و الدرس اللساني الحديث: دراسة في فكر الن قيم الجوزية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2016، ص 3-4.

² - فايز الداية، علم الدلالة العربي، النظرية و التطبيق دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1417هـ-1996م، ص 24.

³ - المرجع نفسه، ص 47.

المحاضرة الثالثة عشر

اللسانيات العربية و المشكلات اللغوية

تمهيد:

الحديث عن مشكلات اللغة في اللسانيات العربية يقتضي بالضرورة تلخيص أهم الموضوعات التي عرقلت مسار الدرس اللساني العربي، أو القضايا التي صادفت تعليم و تعلم اللغة العربية؛ ولتأسيس تصور عن أهم المشاكل و محاولة تقديم حلول معرفية و علمية لما يعترض الباحثين المتخصصين في هذا المجال، و من أجل ذلك لابد أن نناقش هذه المسائل الهامة و أخرى في هذه المحاضرة التي خصصناها للسانيات العربية و المشكلات اللغوية.

1- الجهود العربية في حل المشكلات اللغوية:

لا ينكر أحد قيمة الجهود التي قامت بها المؤسسات الرسمية و المجامع اللغوية أو ما يقدمه العلماء في اللسانيات العربية من أجل حل المشكلات التي تصادف مستعملي اللغة العربية أو متعلميها؛ و من بين هؤلاء نجد محمود تيمور الذي ناقش في كتاباته العديد من المشكلات التي تقوض من انتشار اللغة العربية الفصحى سواء في الاستعمالات الرسمية أو التعليمية- في بعض الأحيان- وهو مشهور بمناقشة مسألة الفصحى و العامية و هي قضية محورية لازالت تُسبل الكثير من الحبر يقول تيمور: " اللغة العربية اليوم في محنة و اختبار، عليها تدور الأحاديث، و فيها تتنازع الآراء، وحولها يتخالف أهلها: فريق منها يظنون بها الظنون، و فريق آخرون يجادلون عنها خشية أن يهون سلطانها في مجال الإبانة و التعبير".¹

و بخصوص إشكالية الفصحى و العامية نرى أنها لا تحتاج إلى هذه الضجة التي نراها في الكتب التي تدعي ضرورة تعويض الأولى بالثانية و هي إدعاءات واهية فالفصحى لا يمكن أبدا استبدالها بالعامية بل علينا أن ندرسها و نحاول تقريبها منها يقول محمود تيمور: " لقد كسبت الفصحى ضروبا من التطور، بما سايرت من أحقاب الزمن، و ما عاشرت من أشتات الأمم، و ما تمرست به من ألوان التجارب، فطاوعت الحياة في مراحل التقدم البشري، و عبرت عن حضارات تعاقبت في دهور طوال، و ما ينبغي لها أن نستبدل بها اليوم صورة شاحبة منها، بدائية فيها، تباعد

¹ - محمود تيمور، مشكلات اللغة العربية، مكتبة الآداب للطباعة، القاهرة، 1998، ص 81.

بيننا و بين هذا التوحيد اللغوي الذي ظفرت به الأمة العربية بعد لأي، و يقطع ما بيننا و بين التراث الفكري الذي نصل ماضيه المجيد بحاضرنا المرموق.¹

حقيقية لا خير فينا إن دعونا إلى تعويض الفصحى بالعامية:" و لكن الخير كل الخير في أن ندرس قواعد هذه العامية، و مراجعها من اللهجات العربية، على أن نستعين بها في إمداد قواعد الفصحى بما يوسع أقيستها، و ما يعالج مشكلاتها التي تعانيها في الوفاء بحاجات مجتمعنا الراهن، لكي نكفل لها أسباب اليسر، و نواتيها بالمزيد من المرونة و الطواعية، و بذلك نزودها بعوامل لنماء و الازدهار، و نذل ما يعترض طريقها من عقبات رجاء أن نبلغ المأرب البعيد² و هو الحفاظ على اللغة العربية الفصحى و تمكينها من استيعاب العلوم جميعها و كل الفنون.

رصانة الأعمال التي قدمها علمائنا قديما هي ما جعل اللغة العربية تتبوأ مكانتها العالية التي نتمنى من باحثينا المعاصرين الحفاظ عليها و تطوير مناهج دراستها، أما تلك الدعوات التي تود وأد هذه اللغة و هي حية فلا ندعو إليها و لا نوافقها و لا نتردد في هذا المقام أن ننوه بالجهود التي قدمها تيمور في اقتراح الحلول لمشكلات اللغة العربية فنجد بين الفينة و الأخرى يعطي لنا بعض الحلول التي تتعلق بضبط علامات الكتابة حيث يقول:" و إني أرى أن تقتصر من صور الحروف على صورة واحدة، و بذلك يكون لصندوق الحروف المطبعية عيون لا تتجاوز الثلاثين عينا، فنخفف من تلك العيون التي تزيد الألفة بها، و طول العهد معها، و جلال القدم فيها، و لذلك لا يحتسب كل تغيير يلحق بها إلا استخفافا بشيء تحيط به هالة من المهابة و الإكبار.³

و إن كنا لا نتفق معه في بعض ما اقترحه و لكن يبقى ما قام به جهد معتبر في سياق الحديث عن المشكلات و العقبات التي تتعرض لها اللغة العربية سواء من أبنائها أو من غير أبنائها و الغرض من طرح تلك المشاكل التي تعرقل التأصيل للسانيات عربية حديثة هو ما نجده عند بعض المدعين بصعوبة اللسان العربي و لهذا نجد محمود تيمور يعترف في بعض كتاباته بصعوبة تطبيق بعض المقترحات لتسهيل الكتابة مثلا فيقول:" هيهات أن يفرض اقتراح جديد للكتابة بقانون، و هيهات أن يلزم الناس به إلزاما بإقناع، و كل محاولة تُجافي المجرى الطبيعي لتطور نفسية الأمم مكتوب لها الإخفاق، فمن حق الأمة العربية علينا أن نساير في عهدها الحاضر رأيها العام.⁴

¹ - المرجع نفسه، ص 178.

² - محمود تيمور، مشكلات اللغة العربية، ص 178.

³ - المرجع نفسه، ص 61-62.

⁴ - المرجع نفسه، ص 62.

و لا يختلف اثنان في كون اللغة العربية لغة عريقة و مستقرة في قواعدها كتابة و نحوا وليس من اليسير تغيير رموزها بدعوى تسهيل قرائتها أو أمثال الدعوات التي نعتقد أنها تعسير و ليس تيسير والحقائق العلمية التي جاءت في هذا السياق تؤكد أن اللغة العربية ليست صعبة و إنما علينا إيجاد بدائل و برامج قوية لتعليمها ببسر، و الحق الذي ينبغي أن نصدق به في أنحاء العالم هو أن اللغة العربية ليست قاصرة و لا ناقصة و هذا بشهادة غير الناطقين بها فكيف بأبنائها.

2-المشكلات اللغوية العربية:

كل اللغات الطبيعية تعترض تعليمها و تعلمها بعض العقبات و اللغة العربية كغيرها من اللغات الأخرى، و لذلك نجد اللسانيات العربية بآلياتها و مناهجها و وسائلها تهدف إلى علاج المشكلات المختلفة التي تعترضها و من بين المشكلات التي واجهت الباحثين في هذا المجال نجد:

2-1-الترجمة:

ارتبطت الترجمة في الثقافة العربية بالنهضة الفكرية التي تجلت في عهد محمد علي بمصر: "وكان لهذه النهضة كما هو معروف أبعادا مختلفة سياسية و اجتماعية و فكرية... فبعد عهود غير قصيرة من الانحطاط، تم دخول كثير من العلوم و المعارف الجديدة إلى حقل الثقافة العربية أو على الأصح دخولها من جديد،" ¹ مثل الطب و الرياضيات و العلوم الدقيقة الأخرى.

لقد بدأت الحركة الفكرية تعود تدريجيا إلى الحياة الثقافية التي انتعشت بفضل الجهود الفكرية الحاصلة في مصر: "و بدأ الانتعاش يدب في شرايين الحياة الفكرية، و تطلبت الحركة الفكرية الجديدة بمصر و غيرها من الأقطار العربية من اللغة العربية جهودا جبارة لمواكبة مظاهر التحولات التي عرفت مناحي الحياة العربية، مما نشأ معه حركة لغوية جديدة تمحورت أساسا حول الترجمة إلى العربية و إيجاد المصطلح العربي الملائم." ²

وعلى الرغم من قيمة الترجمة في نقل المعارف و العلوم إلا أنها قد تؤدي في بعض الأحيان إلى خلق مشكلات في تطوير اللغات و انتشارها و الواقع أنه: "من الطبيعي أن يرتبط تطوير الحياة السياسية و الاجتماعية و الفكرة بتطوير اللغة نظرا لما لها في كل عصر و مكان من دور فعال في

¹-مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حريات النشأة و التكوين، شركة النشر و التوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2006، ط1، ص7.

²-المرجع نفسه، المرجع نفسه.

كل نهضة شاملة و حقيقية و بقدر ما تتصدع الحياة السياسية و الاجتماعية ينعكس ذلك على المستوى الفكري و اللغوي مثلما حصل للغة العربية عبر تاريخها الطويل، إن ازدهار الحضارة العربية الإسلامية خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة و اكبه ازدهار لغوي لا مثيل له. و استطاعت اللغة العربية أن تعبر بيسر عن كل التطورات الحضارية التي عرفتتها الحياة السياسية و الفكرية و الاجتماعية بعد انتشارها و توسعها شرقا و غربا.¹

لقد انتشرت الترجمة في مصر بعد ظهور الطباعة حيث عرفت رواجاً واسعاً بين اللغويين و المفكرين بصفة عامة و عجت المكتبات بالكتب المترجمة و الظاهر أن: "أغلب الكتب التي ظهرت في عصر محمد علي كانت كتباً مترجمة في شتى ضروب العلوم و الفنون، و لم تؤلف إلا كتب قليلة ليست ذات شأن، أما الكتب العلمية البحثية فكان أغلبها ترجمة، و قد انتشرت هذه الكتب كثيراً بتشجيع محمد علي لمترجميها و مكافأتهم مكافآت سخية، و بطبعها على نفقة الدولة في مطبعة بولاق."²

و هنا لا يجب أن نغفل عن الأبواب التي فتحتها الترجمة عبر العصور و اليوم نحن في أمس الحاجة إلى ترجمة العلوم خاصة ما تعلق منها باللسانيات الغربية التي أنتج مؤسسوها العديد من النظريات التي أغرقت الساحة العلمية بكم هائل من المعلومات و لأن الحاجة ماسة إليها فقد كانت النهضة المصرية هي التي ميزت المشهد في البلاد العربية حيث: "كان تعرف مصر على المدنية الغربية الحديثة بعد حملة نابليون و محاولات تسرب الإنجليز إلى الحياة المصرية قد فتح الباب أمام دخول ألفاظ جديدة إلى اللغة العربية... لهذه الأسباب الحضارية نشطت الحركة اللغوية المتمثلة في عملية الترجمة التي واكبت نقل العلوم الحديثة إلى العربية، و البحث في المصطلحات و التعابير العربية الجديدة الملائمة للمعلومات و الألفاظ المنقولة عن اللغات الأجنبية و حمل عبء هذه الترجمة أعضاء و قود البعثات التي تم إرسالها إلى أوروبا على عهد محمد علي -و من جاء بعده- لتحصيل العلوم الأوروبية الحديثة و نقلها إلى العربية."³ لقد كان للبعثات آنئذ: "أعظم فضل في إحياء اللغة وجعلها مسايرة للعلم الحديث بما ترجم أعضاؤها من كتب و ما أدخلوه من مصطلحات."⁴

¹-مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حفريات النشأة و التكوين، شركة النشر و التوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2006، ط1، ص7

²-عمر الدسوقي، في الأدب العربي الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ط8، ج1، ص85-86.

³-مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حفريات النشأة و التكوين، ص8.

⁴-عمر الدسوقي، في الأدب العربي الحديث، ص29.

عرفت الترجمة حركية كبيرة في البلاد العربية و تطلب ذلك تأسيس الكثير من المدارس والمعاهد الخاصة بالترجمة و قد قاد هذه النهضة رفاة الطهطاوي حيث كان: " و هو يخطط لإنشاء مدرسة الألسن بالقاهرة، قد استحضر أمامه نموذج مدرسة الألسن الشرقية ببائيس التي تأسست سنة 1795¹ ليس هذا و حسب بل أصبحت للترجمة متطلبات لا يمكن إغفالها في نقل العلوم المختلفة إلى البلاد العربية و قد: " شهدت تونس سنة 1840، تأسيس مدرسة باردو العسكرية، و هي أول مدرسة تعليمية رسمية تعنى بالترجمة النصوص و المؤلفات الأوروبية للغة العربية،² و لا ريب أن تأسيس مدارس للترجمة يعتبر ضرورة لا محيد عنها و هذا بالفعل ما فكر به رواد اللسانيات العربية في جميع أقطار الوطن العربي.

عالجت الترجمة حسب ما عرضناه العديد من المشكلات اللغوية التي صادفت اللسانيين و لهذا تعامل معها المنظرون و رواد اللسانيات العربية كبيرة بحكمة تعامل معها و على الرغم من أن الإطار المرجعي ضعيف نوعا ما إلا أن المحاولات تبقى جادة: " و بالفعل لم يكن للغويين المحدثين الأوائل ما يعتمدوه من زاد نظري ومنهجي سوى معرفتهم الدقيقة و اطلاعهم الواسع على المصادر اللغوية العربية القديمة في النحو والصرف و اللغة، يقودهم فيما يبحثون شعورهم الديني و الوطني وغيرتهم على العربي، و تحذوهم رغبتهم الأكيدة للمحافظة عليها و تتميتها في الوقت ذاته.³

2-2- صناعة المعاجم:

عرفت صناعة المعاجم ثورة علمية في السنوات الأخيرة خاصة في مجال تعليم و تعلم اللغات واللغة العربية لم تكن بعيدة عن هذا المجال و إن كانت شحيحة بالمقارنة مع ما وجدناه عند الغرب، و يتسائل أحدنا هل تنقصا في اللسانيات العربية الأدوات و الوسائل الكفيلة بصناعة معاجم قيمة ذات باع في السوق الدولية -إن صح التعبير- لأن العالم اليوم عرف تطورا ملحوظا في مجال صناعة المعاجم و اليوم لا نتحدث عن المعاجم الورقية بل نتحدث عن المعاجم الموسوعية، فأين وصلت مشاريعنا في الوطن العربي، و إلى أي مدى تتسع إلى استيعاب العلوم اللسانية.

لا يمكننا أن نهمل في اللسانيات العربية قضية المعاجم و سبل صناعتها و هي مهمة ثقيلة ولكن لا بأس بالمحاولة، و هذا ما قام به بعض الباحثين اليا فعيين في بداية التعرف على هذا العلم

¹-محمود فهمي حجازي، أصول الفكر العربي الحديث، دار الفكر الغربي، القاهرة، 1974، ص132.

²-جمعة شيحة، الدراسات اللغوية بكلية الآداب(قسم العربية)، ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية، تونس، 1983، ص 352.

³-مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حفريات النشأة و التكوين، ص 10.

الجديد، و الحقيقة أن العرب اهتموا بالبحوث المعجمية اهتماما بالغاً فبالنسبة للمعاجم الحديثة نجد المعاجم العربية موجودة بقوة في الثقافة العربية و في الحقيقة المعاجم العربية الحديثة هي التي خلفها أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني و سعيد الشرتوني و لويس المعلوف و جرجس همام و عبد الله البستاني و أحمد رضا و غيرهم.¹

لا نعتقد أن صناعة المعاجم خاصة التعليمية منها اليوم تخلو من المشكلات فهي تعج بها وبعض المتشدقين: "يزعمون أن اللغة العربية لا تصلح ... لهاتين الخطتين (يُقصد للتجارة و عبء الإمارة: أي التنظيم السياسي)، فلا بد من الاستعانة بكلام الأجانب و إن أدى ذلك إلى خطتين كلا وربك ما بروا و لا صدقوا و ما دروا إنهم بالذي عاب نفسه لحقوا، لأنهم ما قالوا ذلك إلى لحرمانهم منها و قصورهم عنها، فمن ثم مست الحاجة إلى زيادة تفصيل لمفردات لغتنا ومركباتها و تبين لأصولها من متفرغاتها و إفراز لأفعالها من مشتقاتها، و ذلك لا يتأتى إلا بإظهار ما في القاموس من القصور و الخلل."²

2-3-المصطلح:

تعاني اللغة العربية من مشكل المصطلح و لا شك أن الاضطرابات الحاصلة في شتى المجالات اللغوية هو دليل على الإشكاليات الاصطلاحية المطروحة لقد لاقت العربية في عصر الطهطاوي الكثير من هذه الإشكاليات: "كان الطهطاوي واعياً بما يعترض عمله في الترجمة من صعوبات، لعدم وجود اللفظ العربي المناسب لكثير من الأشياء التي تحدث عنها،"³ و كنا قد دعونا من قبل في عنصر الترجمة إلى ضرورة العناية بنوعية الترجمة من خلال اختيار الأكفاء في هذا المجال و إلا ستكون النتيجة عكسية.

لقد كان الطهطاوي بارعاً في بث الوعي بالتعريب و ترجمة الألفاظ و: "لما كانت هذه الألفاظ في الأغلب أعجمية فلم ترتب إلى الآن في كتب اللغة العربية، و كان يتوقف فهم هذا الكتاب عليها، عربناها بأسهل ما يمكن التلفظ به فيها على وجه التقريب، حتى إنه يمكن أن تصير على مر الأيام دخيلة في لغتنا كغيرها من الألفاظ المعربة عن الفارسية و اليونانية، ولو صنع المترجمون نظير ذلك في كل كتاب ترجم ... لانتهى الأمر بالتقاط سائر الألفاظ المرتبة على حروف الهجاء، و نظمها في

¹-عفيف عبد الرحمان، من قضايا المعجمية العربية المعاصرة في المعجمية العربية المعاصرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 383.

²-أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، 1299هـ-1881م، ص 3.

³-مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حريات النشأة و التكوين، ص 24.

قاموس مشتمل على سائر الألفاظ المستحدثة التي ليس لها مرادف أو مقابل في لغة العرب أو الترك، فإن هذا مما يفيد التسهيل على الطلاب، و به تحصل الإعانة على فهم كل علم أو كتاب.¹

2-4-التعليمية:

لقد ساهمت اللسانيات العربية في تعزيز البحث اللغوي التعليمي حيث: "استهدف أصحابه تأليف كتب تقدم اللغة العربية و نحوها للمتعلم بشكل مبسط، محاولين إعادة ترتيب أبواب النحو العربي اختصاراً أو شرحاً بأمثلة تيسر القواعد و تجعلها قريبة من أذهان المتعلمين،"² و هذا ما تعول عليه اللسانيات العربية التي طالما اشتغلت بمجال تعليم و تعلم اللغة العربية.

لكن التحديات التي تشهدها اللغة العربية اليوم ليس لها مثل و لا يمكن لنا في وقت وجيز عرض جميع الغرائيل التي تلاقيها اللسانيات العربية لإيجاد البدائل و الحلول، و لا يضر أن نقدم ههنا بعض المشكلات التعليمية التي وجنا أنها هامة و لابد من إضائها في هذه المحاضرة و قد حدد لنا المتخصصون بعض المشكلات منها مشكل الكتابة و هي مهارة لابد من تلقفها لدى المتعلمين وقد و حدد لنا إبراهيم اليازجي بعض الأضراب من الكتابات التي تبين أن ما ينبغي أن يهتم به مؤلفو كتب القواعد هو: "الاختيار من كل قاعدة أصح الأقوال و أمثلها لتكون مرجعاً لطلاب هذه الصناعة و تنبذ بقية الأقوال الساقطة و المذاهب المرجوحة، و يكون في ضمن ذلك إهمال كل ما يتعلق بالقراءات المختلفة و اللغات الشاذة و الضرورات الشعرية، مما يترك الكلام عليه للتصانيف المختصة به، بحيث يتلخص النحو في الوجوه التي عليها الاستعمال، و يكون ذلك ذريعة تتوحد بها قواعد اللغة كما توحدت اللغة بالقرآن."³

إن الأخذ بسبل تيسير المهارات اللغوية سواء الكتابة أو القراءة كفيل بإيجاد الحلول للمشاكل المطروحة مثل ما يحصل في الكتب التعليمية: "و مثل ذلك يفعل بكتب المتن، فتنبذ منها اللغات المتروكة و الألفاظ الوحشية من كل ما لا يرى في الكتب المتداولة لهذا العهد، و ما لا يجوز

¹ -فرحات الدريسي، منزلة الحركة المعجمية في القرن التاسع عشر، أعمال في المعجمية العربية المعاصرة، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1987، ص241.

² -مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حريات النشأة و التكوين، ص 16.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

للفصيح استعماله... و ترتب الألفاظ على وجه سهل المراجعة لا يكلف عناء، و لا بحثا طويلا، بحيث تكون كتب اللغة عندنا على مثل ما هي عليه في اللغات الأوربية.¹

معظم اللغويين العرب: "نهلوا من الثقافة اللغوية الغربية نتيجة تمكنهم من لغات أجنبية سمحت لهم بالاطلاع على الفكر اللغوي الحديث في أوربا و لو في صورة جزئية و متفرقة، و شكل ذلك مصدرا هاما أضافوه لمعرفتهم بالثقافة اللغوية العربية القديمة فجاءات كتاباتهم حاملة روحا جديدة إن لم تكن دائما في مستوى المضمون، فإنها على الأقل اتسمت بنوع من الحرية الفكرية في التعامل مع القضايا العربية بروح مقلدة و لا تابعة للنموذج القديم"²، و هذا ما انتهى إليه المتخصصون في اللسانيات العربية الذين لم يدخروا جهدا في إيجاد البدائل و الحلول للمشكلات التي تعرفها اللغة العربية.

¹- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حفريات النشأة و التكوين، ص 16.

²- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المحاضرة الرابعة عشر

آفاق البحث اللساني العربي

تمهيد:

يتطلب الحديث عن آفاق البحوث اللسانية العربية على معطيات وافية عن عددها و مكانتها وقدرها، و ما سنجيب عنه من تساؤلات حول هذه التطلعات لا يكفي ربما لإعطاء ما كُتِبَ في مجال اللسانيات العربية التي هي مدار هذه المحاضرات حقه، و الواقع أن الرهانات التي تواجه التطور في المناهج و الدراسات اللغوية ليست خافية عن أحد، و لكننا نحاول قدر الإمكان إعطاء أمل و لو بسيط عن آفاق هذا البحث الذي نود أن يكون متينا مثلما هي عليه البحوث اللسانية الغربية.

1- منحنى اللسانيات العربية في البحث العربي:

إن القنوات التي ترى بأن البحث اللغوي في الوطن العربي ليزال يحبو قد تتغير إذا ما عرفنا أن اللسانيات العربية قد عرفت بعض التطور من خلال المزوجة بين الدراسات الغربية الحديثة والعلوم العربية التقليدية التي لا غنى عنها، و المثير للاهتمام أنه: "منذ منتصف الثمانينيات من القرن الماضي بدأت عبارة "اللسانيات العربية" تشق طريقها تدريجيا إلى الأدبيات اللغوية العربية الحديثة، و قد أسهمت بعض الدراسات الأكاديمية العربية في لفت الانتباه إلى القيمة النظرية والمنهجية المتفاوتة لهذه الكتابات اللغوية العربية الحديثة."¹

قد يشكك الناظرون في وضع البحث العلمي العربي إلى قيمة الجهود التي ننتظر منها أن تثمر و السبب واضح- من و جهة رأيينا- أن القنوات لا تزال تؤمن بأن ما هو غربي هو الأفضل وما زاد الطينة بلة هو قلة الأعمال الواعدة في فروع اللسانيات خاصة الميدانية منها و: "نظرة فاحصة إلى راهن اللسانيات في المجال التداولي العربي، تكشف عن أن اللسانيات العربية لم تبلغ بعد مستوى النضج الذي بلغته نظيرتها في الغرب؛ و ذلك على الرغم من مرور ربح من الزمن على اتصال ثقافتنا باللسانيات، و على الرغم أيضا من وجود بحوث لسانية عربية لها قيمتها و منزلتها وبناء عليه، فإن وعي راهن اللسانيات العربية الموصوف بالاختلال أو عدم النضج لا يمكن إلا باستحضار قضاياها و شروط تلقيها."²

¹-حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي و إشكالياته،

ص 7.

²-المرجع نفسه، ص 11.

و يبقى الأمل فيما ستعد به البحوث و المشاريع التي تركها رواد اللسانيات العربية الحديثة أمثال عبد الرحمان الحاج صالح أفقا تتشده ضمايرنا و تعمل عليه بحوثنا و إن كانت بسيطة فخطوة الألف ميل تبدأ بخطوة و لا ضير من المحاولة و السعي دأبا من أجل رفع البحث العربي إلى الآفاق التي نطمح إليها و بلوغ:" هذا المسعى يقتضي رسم صورة واضحة المعالم لمسارات اللسانيات العربية الحديثة، و رصد أهم خصوصياتها، سواء من جهة الإخبار عن مرجعياتها، أم من جهة فعلها الإنجازي و ما لزم عنه من تراكم أو أزمة، أم من جهة الغرض المائل في وجاهة استمداد مبادئها واقتباس أنظاريها و كل هذه الجهات ليست سوى صور لحالة تعيشها الذات أمام الموضوع الذي هي بصدد، و هي حالة ليس هناك من وصف أبلغ و أبين من وصفها بالتلقي".¹

يرى العديد من الباحثين العرب أن معطيات البحث اللساني لا تبشر بالخير في ظل التلقي السلبي للثقافة اللسانية الغربية التي تزداد تأزما:" و عندما نتحدث عن التلقي فإن ذلك لا يكون ذا معنى إلا بربطه بالعوامل الفاعلة فيه و أهمها: تاريخ التلقي و سياق التلقي و شخصية المتلقي...، وهي ما تحرينا بحثه بغية رصد مدى استيعاب الثقافة العربية لهذا الوافد الجديد (اللسانيات)، وطريقة استثمارها له"² و بهذا تكون هذه الأفكار:" بمثابة مراجعة تقييمية للتجربة اللسانية العربية، و موقعها ضمن خانات الفكر العربي، من خلال ضبط ردود الفعل المتراكمة، و تنظيمها، و تحليلها، وتفسيرها و تقويمها، سعيا وراء خلق وعي نظري يتيح استثمارا أسلم للسانيات في ثقافتنا".³

بعد رصدنا لأهم المشكلات اللغوية التي تواجه الباحث العربي في المحاضرة السابقة استطعنا أن نأخذ نظرة و لو بسيطة عن البحوث و تنوعاتها و عرفنا تطلعات أصحابها و يرى أحد الباحثين أن البحوث في الوطن العربي على صنفين:

أ- البحوث الأساسية الكبرى، كالمسح اللغوي للسودان، و مشروع الرصيد اللغوي لمنطقة المغرب العربي، و مشروع بحوث اللغة العربية المعاصرة في السودان و الواقع أن المسح اللغوي ضروري لجميع الدول العربية بما فيها الجزائر و الدول العربية من المحيط إلى الخليج، و يندرج ضمن هذا البحوث الخاصة باللهجات العربية و تقديم معطيات وثيقة عن ها لاتخاذ قرارات صائبة بإزاء اتصالها بالفصحى خاصة في التعليم و التعلم.

¹-حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي و إشكالياته ، ص 11.

²-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ب- الموضوعات البحثية المتعددة الجوانب، وهي موضوعات تستدعي تضافر معارف ونظريات و مناهج متعددة، كالتعريب و المصطلح العلمي و اللهجات و تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها و تحليل الخطاب السياسي و الإعلامي.

أما الخوض في مجال اللسانيات العربية فيفتح لنا الباب أمام آفاق واعدة لاسيما بعد اجتهادات اللسانيين العرب المعاصرين الذين نجد لديهم الرغبة في:

1- الرغبة في الانفتاح على اتجاهات البحث اللساني، و تعرف أهم منطلقاتها و أهدافها، و الابتعاد عن التخصص الضيق الذي يجعل الباحث متقيدا باتجاه بعينه متحررا من الاتجاهات الأخرى التي لا يربطه بها إلا صراعات مفتعلة اشتدت بين العديد من اللسانيين العرب.

2- الحرص على معرفة قضايا ذات صلة بالبحث اللساني، فالثقافة العربية كما هو معروف نسيج متشابك من القضايا التي يصعب الفصل بينها؛ و لذلك يتعين لفهم الواقع اللساني الغربي، بل وتغييره، و ربطه بقضايا تاريخية و فكرية و حضارية و نفسية انصهرت في بوتقة واحدة لتفرز واقعا يشكل صورة عن الواقع الحالي لبنية الفكر العربي..¹

2-بؤادر البعث اللساني العربي:

إن بؤادر ظهور لسانيات عربية أصيلة لا تمت لا إلى الشرق و لا إلى الغرب بادية في الأفق مع الباحثين الجدد الذين تتلمذوا على أيدي كبار علماء اللسانيات، و نعتقد أن أحمد المتوكل من هؤلاء حيث: "سعى من خلال كتاباته المختلفة إلى وضع نظرية عربية لدراسة اللغة العربية، فالمتبع لكتاباته يجده يحاول رسم معالم نظرية وظيفية، كما حاول الجمع بين التراث العربي القديم و النظرية الوظيفية الغربية الحديثة من أجل وضع مقارنة لدراسة خصائص اللغة .. ليكون المنحى الوظيفي العربي الحديث نتاجا للمرجعتين التراثية العربية و الحديثة الغربية..²

لقد حاول العديد من الباحثين العرب تغيير مسار البحث نحو آفاق جديدة من خلال المزوجة بين القديم و الحديث الأمر الذي فتح باب البحث على نظريات جديدة تقيد الدارسين و المهتمين

¹-حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي و إشكالياته، ص 12.

²- سليم أولاد بن سعيد، المرجعية المعرفية للوظيفية في كتابات أحمد المتوكل مقارنة لسانية، أطروحة دكتوراه تخصص لسانيات عامة، جامعة أحمد درايعية أدرار، قسم اللغة و الأدب العربي، الجزائر، 2023، ص 198.

بمجال اللسانيات العربية، و الاتجاه الوظيفي جديد و قد عرفت أحمد المتوكل بقول: "المقصود بالمنحى الوظيفي العربي و التوجه اللساني الذي يتخذ نظرية النحو الوظيفي إطارا عاما له، و الفكر اللغوي العربي نحوا و بلاغة و أصول فقه، و تفسيراً أصولاً معادة قراءتها طبقاً للمهج الذي اقترحنه.¹"

إن من يتصفح كتاب أحمد المتوكل الموسوم ب: "آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي" يدرك حقيقة أن هناك آفاق جديد في البحث اللساني العربي وقد قال في المقدمة: "حظيت نظرية النحو الوظيفي، منذ ظهورها في أواخر السنوات السبعين، باهتمام العديد من الباحثين الذين اتخذوها إطاراً لأبحاث تناولوا فيها ظواهر مختلفة (معجمية و صرفية-تركيبية و دلالية و تداولية) في فضاء من اللغات متباينة، و قد أسهمت هذه الأبحاث في تطوير و إناء النظرية تطويراً و إغناء أدياً إلى إعادة النظر في بنية الجهاز الواصف ككل و في صياغة العديد من المبادئ و القواعد و نتج عن إعادة النظر هذه أننا أصبحنا أمام نموذج ثان، النموذج الذي يرسم ديك معالمه الأساسية في كتابه الأخير.²"

تفصح الكثير من المصادر عن قيمة البحث اللساني العربي و آفاقه رغم الإشكاليات العديدة المطروحة في الأوساط العلمية، غير أن هذه العقبات لم تلبث أن تكون خلاصة للانشغالات التي اهتم بها المتخصصون الذين ألمحوا إلى تأسيس كتابات لسانية جديدة قائمة على المعطيات المعرفية المعاصرة التي تبناها بعض العلماء العرب أمثال المتوكل و عبد الرحمان الحاج صالح و هي تخدم الفكر اللغوي العربي في أصوله و منابعه الأولى، لكن الانتقال إلى المراحل التالية لتقليد النظريات الغربية هي أولى من غيرها بالذكر.

إن المنطلقات الحاسمة في الفكر اللساني العربية كانت نابعة من اليقين بقدرة اللغة العربية على التطور و مواكبة البحث اللساني المعاصر المبني على منجزات الماضي سواء أكان غربياً أو عربياً، و مهما يكن من الأمر علينا أن ندعو القارئ الكريم إلى عقد مقارنة بسيطة بين ما جاء به الغرب وما هو ماثوث عند العرب و النماذج اللسانية في هذا كثيرة جداً، و مما يلاحظ هو ذلك الانتاج البحثي الذي خلف عددا من النظريات و المقولات و المفاهيم و المصطلحات.

¹ - أحمد المتوكل، الخطاب و خصائص اللغة العربية -دراسة في الوظيفة و البنية و النمط، دار الأمان، الرباط، 2010، ص 85.

² - أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، 1993، ص 5.

الحديث عن المنجزات اللسانية يقتضي الرجوع إلى إضاءة البحث في بداياته الأولى التي تعج بها الكتابات اللغوية العربية و ما يلفت النظر هو تشبع هذه البحوث بالفكر التراثي الأصيل، والتتظير في الأعمال العربية المعاصرة ينبغي أن يوازن بين القديم و الحديث من أجل إنتاج أفكار جديدة و هنا يجب الوقوف عند ما يعرف ب: "إعادة قراءة التراث اللغوي... أي تأويل الموروث اللغوي العربي و فهمه فهما جديدا في ضوء ما تقترحه اللسانيات من نظريات و بالتالي باتت قضايا اللسانيات جزءا من معضلة فكرية أكبر هو إشكالية الأصالة و المعاصرة".¹

حقيقة البحث في التراث و التفتيش فيه ليس سهلا و لكن إنتاج نظرية لسانية جديدة لا يبدأ من العدم و إنما من خلال الأفكار التي كانت موجودة من قبل و هذا تمهيدا لظهور آفاق بحثية جديدة و تباين الاتجاهات في هذا الخصوص لدليل قاطع على ما قلناه؛ لأن المناهل مختلفة وكثيرة والأسماء الذي لمعت في هذا المجال لا تقدر بثمن منها فاسي الفهري و المهري، و المتوكل والحاج صالح، و القائمة طويلة.

ما يمكن الاعتماد عليه في الفكر اللساني العربي هو الخطاب اللغوي الجديد الذي عبر عنه البعض بالهزيل رغم المقومات الحديثة الموجودة فيه و هي في حقيقة الأمر عقبات تحول دون التقدم في البحث بل و تكبح من تزايد و تطور الأبحاث و قد أشار بعض النقاد اللسانيين إلى ما يعرف بأزمة اللسانيات أو لنسمها مأزق و قد أوما إليها مصطفى غلفان في العديد من كتبه يقول: "أزمة أسس، أي في المنطلقات الفكرية و النظرية و المنهجية التي تؤسس مجالا معرفيا معينا و تحدد معالمه إما لعدم وضوحها بالشكل الكافي و إما لكون التراكم المعرفي المتوفر في هذا المجال قد وصل إلى الطريق المسدود في مستوى التحليل أو النتائج أو هما معا مما يتطلب إعادة النظر في الأسس والمبادئ العامة عليها هذا المجال المعني".²

لقد اهتدى اللسانيون العرب إلى طرق إثراء الدراسات اللسانية الحديثة و هذا من خلال ما تبناه بعض الباحثين من نزعات و أفكار يقول عبد الرحمان الحاج صالح: "اتجاه يتجاهل تماما أو إلى حد بعيد اللسانيات الحديثة، و يعتمد أساسا على المفاهيم اللغوية التي تبلورت كما قلنا عند المتأخرين، ويخلط أصحابه بين المفاهيم العربية الأصيلة و مفاهيم هؤلاء المتأخرين، و اتجاه آخر يتجاهل تماما أو إلى حد ما التراث العربي أو يجعل مثل الاتجاه الأول، كل التراث واحدا؛ و بعض أصحابه على

¹ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، ص16.

² - المرجع نفسه، ص20.

الرغم من معرفتهم لهذا التراث فإنهم مقتنعون اقتناعا تاما أنه قد تجاوزه الزمان أو هو وجهة نظر لا يمكن أن تساوي وجهات نظر اللسانيات العربية.¹

و من هذا المنطلق يمكننا القول أن آفاق البحث اللساني هي الأخرى لها مرجعياتها؛ فهي إما امتداد للدراسات الغربية الحديثة أو هي تأصيل للبحوث اللغوية القديمة و التباين واضح بين الاثنين و هناك اعتقاد آخر بأن اللسانيات العربية هي نموذج فريد لا يتصل لا بالغرب و لا بالشرق والحسم في هذه المسألة يحتاج إلى بحوث رصينة و عميقة.



¹-عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ص 227-228.

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5.
2. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، 1995، ص 88.
3. ابن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج2.
4. ابن جني، الخصائص، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1371هـ-1952م، ج2.
5. ابن خلدون، المقدمة، تح: إيهاب إبراهيم، مكتبة ابن سينا للطبع و النشر و التوزيع، القاهرة، 2009.
6. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، مطبعة المدني، القاهرة، د. ت، ج1.
7. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، دمشق، 1399هـ-1979م، ج4.
8. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج1، ج2، ط3.
9. ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م.
10. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم و الثقافة، القاهرة، 1997.
11. أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، 1993.
12. أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية قضايا و مقاربات، مكتبة دار الأمان، الرباط، ط1، 2005.
13. أحمد المتوكل، الخطاب و خصائص اللغة العربية -دراسة في الوظيفة و البنية و النمط، دار الأمان، الرباط، 2010.
14. أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، دار الأمان، الرباط، ط1، 1437هـ-2016م.
15. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، 1979، ج2.
16. أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، 1299هـ-1881م.
17. أحمد مختار عمر، البحث الصوتي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1396هـ-1976م.
18. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1991.
19. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ج2، ط1، 2008.

20. إدريس بن خويا، علم الدلالة في التراث العربي و الدرس اللساني الحديث: دراسة في فكر الن قيم الجوزية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2016.
21. أرفيس بلخير، نظرية النظم بين الأصل النظري و البعد الفكري، البدر الساطع للطباعة و النشر، الجزائر، د.ت.
22. أكرم ضياء العمري، التراث و المعاصرة، مطابع الموصلة الحديثة، قطر، 1405هـ-1985م.
23. التهاوني، كشف اصطلاحات الفنون، تح: لطفي عبد البديع، المؤسسة العامة، القاهرة، 1382هـ-1963، ج1.
24. الجاحظ، البيان و التبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، القاهرة، ط5، ج1.
25. الخليل، معجم العين، تح: مهدي المخزومي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980، ج1.
26. الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 2017.
27. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد خليل عياني، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1422هـ-2001م، مادة دل.
28. الزمخسري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار، الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، 1998، مادة.
29. الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى، القاهرة، 1308هـ-1940م.
30. العكبري، اللباب في علل البناء و الإعراب، تح: عبد الإله انبهان، دار الفكر، دمشق، ط1، ج1، 1995.
31. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، ج1، د.ت، مادة دل.
32. المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
33. اميل بديع يعقوب، موسوعة النحو و الصرف و الإعراب، دار العلم للملايين، ط1، 2005 .
34. أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، تر: زبير سعدي، دار الآفاق، الجزائر.
35. أنيس فريحة، نظريات في اللغة (الألسنية3)، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط2، 1981.
36. تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1994.
37. تمام حسان، تعليم النحو بين النظرية و التطبيق، مجلة المناهل، الرباط، ع7، 1396هـ-1976م.
38. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة النجلو المصرية، القاهرة، 1990.
39. جامعة شiche، الدراسات اللغوية بكلية الآداب(قسم العربية)، ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية، تونس، 1983.
40. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1966.

41. حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة نحو مقارنة إبستمولوجية، مجلة اللسانيات و اللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات، و اللغة العربية، جامعة باجي مختار، الجزائر، ع2، 2006.
42. حافظ إسماعيلي علوي ، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009.
43. حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالياته، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ط1، 2009.
44. حسن خميس الملح، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء و المحدثين، دار الشروق، الأردن، ط1، 2001.
45. خالد خليل هويدي، التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث الأصول و الاتجاهات، مكتبة عدنان للطباعة و النشر و التوزيع، بغداد، ط1، 2012.
46. رشيد عبد الرحمان العبيدي، الألسنية المعاصرة و العربية، مجلة الذخائر، العدد1، ج1، 1420هـ-2000م.
47. زكي الأرسوزي، المؤلفات الكاملة، مطابع الإدارة السياسية للجيش و القوات المسلحة، دمشق، مج3، ط1، 1972.
48. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، ط2، 1973.
49. زيغريد هونكه، شمس الله تسطع على الغرب، تر: فؤاد حسنين علي، مكتبة رحاب، الجزائر، 1406هـ-1986م.
50. سليم أولاد بن سعيد، المرجعية المعرفية للوظيفية في كتابات أحمد المتوكل مقارنة لسانية، أطروحة دكتوراه تخصص لسانيات عامة، جامعة أحمد درايعة أدرار، قسم اللغة و الأدب العربي، الجزائر، 2023.
51. سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ط3، 1988.
52. سيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة، القاهرة، 1996.
53. شهاب الدين الأندلسي، الحدود في علم النحو، تح: نجاة حسن عبد الله نولي، الجامعة الإسلامية، الرياض.
54. شوقي بوجلال، الترجمة في العالم العربي الواقع و التحدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.
55. شوقي ضيف، في التراث و الشعر و اللغة، دار المعارف، القاهرة، 1987.
56. صفية مطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.
57. عبد البديع النيرباني، الخلاصة في النحو، مكتبة نور الهداية، دمشق، ط1، 1431هـ-2010م.

58. عبد الرحمان الحاج صالح، الخطاب و التخاطب في نظرية الوضع و الاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012.
59. عبد الرحمان الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة و الدراسات اللسانية الحالية في العلم العربي، وقائع ندوة اللسانيات في القطر العربية، دار الفكر الإسلامي، الدار البيضاء، ط1، 1987.
- عبد الرحمان الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة-مفاهيمها الأساسية- ضمن كراسات المركز، مركز البحث العلمي و التقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، ع4، 2007.
60. عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2006، ج2.
61. عبد الرحمان الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم، الجزائر.
62. عبد الرحمان أيوب، محاضرات في اللغة، مطبعة المعارف، بغداد، 1966.
63. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1986.
64. عبد السلام المسدي، اللسانيات و أسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.
65. عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010.
66. عبد العزيز أحمد علام، عبد الله ربيع محمود، مكتبة الرشد، الرياض، 1430هـ-2009م.
- عبد العزيز العصلي، أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، جامعة أم القرى، المملكة الغربية السعودية، ط1، 1423هـ-2002م.
67. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في علم أصوات العربية، الجريسي، القاهرة، ط3، 1424هـ-2004م.
68. عبد القادر المهيري نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993.
69. عبد القادر سلامي، التركيب و أهميته اللسانية بين القدماء و المحدثين، مجلة آفاق علمية، الجزائر، ع13، 2017.
70. عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، دار أزمنة، الأردن، 1998.
71. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد التتجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995.
72. عبد المجيد دياب، تحقيق التراث منهجه و تطوره، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1983.
73. عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992.

74. عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992.
75. عفيف عبد الرحمان، من قضايا المعجمية العربية المعاصرة في المعجمية العربية المعاصرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
76. عمر الدسوقي، في الأدب العربي الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ط8، ج1.
77. فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة درس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004.
78. فايز الداية، علم الدلالة العربي، النظرية و التطبيق دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1417هـ-1996م.
79. فرحات الدريسي، منزلة الحركة المعجمية في القرن التاسع عشر، أعمال في المعجمية العربية المعاصرة، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1987.
80. كارم السيد غنيم، اللغة العربية و الصحة العلمية الحديثة، مكتبة ابن سناء، القاهرة، 1989.
81. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000، ص10.
82. محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية كتاب في قواعد النحو و الصرف مفصلة موثقة بالشواهد والأمثلة، دار المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1418هـ-1997م.
83. محمد بن ابراهيم الحمد، فقه اللغة: مفهومه-موضوعه-قضاياها، دار خزيمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ-2005م.
84. محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المريح العربي، بيروت، د.ت.
85. محمد سعد محمد، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2007.
86. محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح، الأردن، 2001.
87. محمود السعران، علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997.
88. محمود تيمور، مشكلات اللغة العربية، مكتبة الآداب للطباعة، القاهرة، 1998.
89. محمود فهمي حجازي، أصول الفكر العربي الحديث، دار الفكر الغربي، القاهرة، 1974.
90. مصطفى بن حمزة، نظرية العامل في النحو العربي: دراسة تأصيلية و تركيبية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط1، 1425هـ-2004م.
91. مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، جامع الدروس العربي، المكتبة العصرية، بيروت، ط28، 1993.
92. مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، دار ورد الرندية للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2013.
93. مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، جامعة الحسن الثاني، كلية الاداب و العلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية، الدار البيضاء، 1998.

94. مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حريات النشأة و التكوين، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2006، ط1.

95. مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2010.

96. نعمان بوقرة، مناهج اللسانيات الغربية و الفكر اللغوي العربي الحديث قراءة وصفية تحليلية للمنجز اللساني العربي، مجلة التواصل في اللغات و الثقافة و الأدب، الجزائر، ع 27، جوان 2011.

97. هلا السعيد، نظرة متعمقة في علم الأصوات، مكتبة النجلو المصرية، القاهرة، د.ت.

98. وفاء محمد البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، الهيئة المصرية الهامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1994.

